

الكتاب العربي السعودي ٥٦

عبد العزيز الرفاعي



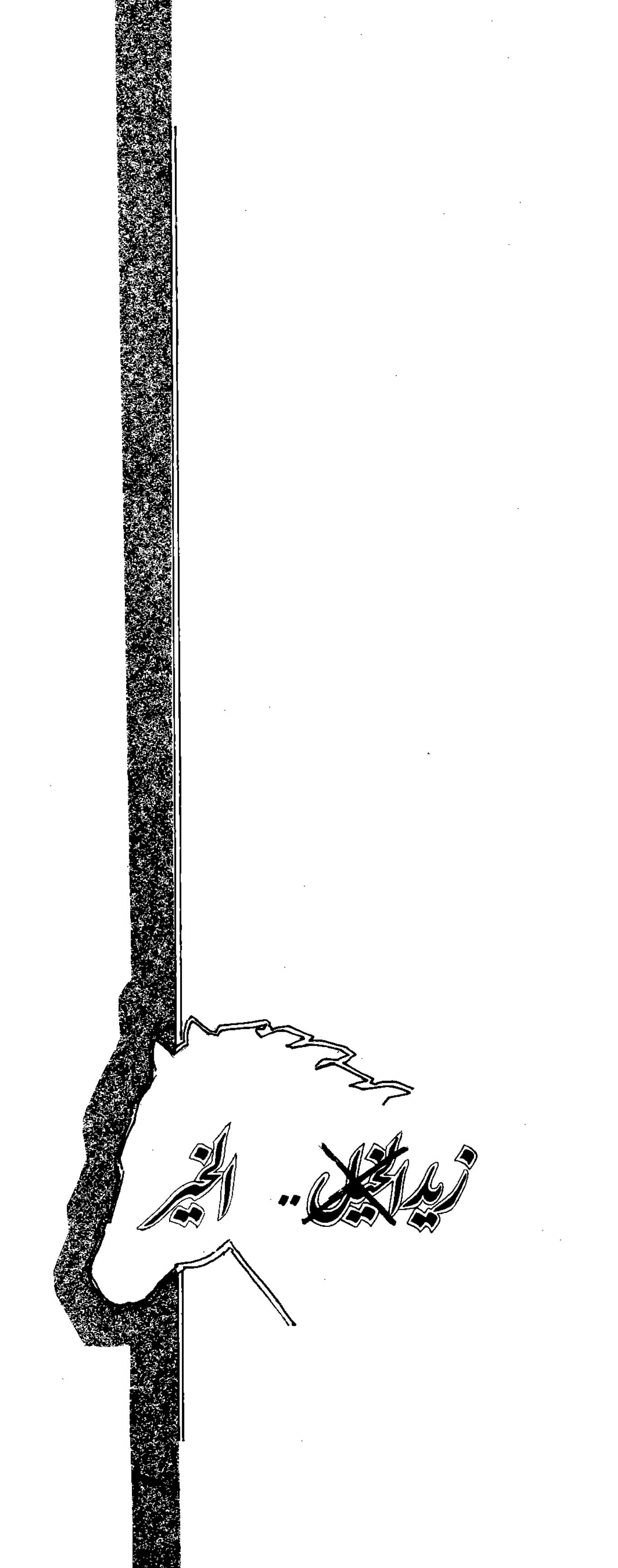


الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
جدة - المملكة العربية السعودية



بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر
تهامة
جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤


زيد الخيل .. الخير



كلمة عامة

لقد ذهب شعراء المعلَّقات بمجد الشعر الجاهلي .. فسلَّط الباحثون أضواء شديدة عليهم ، بينما بقى فى الظل عدد من شعراء العهد الجاهلي أو صدر الاسلام ، لم يعن بهم الباحثون كثيرا .. مع أن لبعضهم فى الشعر روائع ، ان لم تنافس روائع المعلقات .. فانها لا تقل عنها أو قد تقترب منها كثيرا ، أو قد يكون فيها من الرقة أو الدقة أو الجمال ما لم نجده فى المعلقات على شموخ مجدها .. وقد لا نجد فى هذه الروائع من العيوب .. إلا أن يكون صاحبها مقلا .. لا يقول الشعر الا اذا امتلأت به نفسه فى حرب أو طرب .. أو قد يكون ذنبه أن ذهبت الظروف بشعره .. أعنى بالكثير منه .. فلم تتناقله الرواة ولم تتداوله الألسن ، ولم يسطر فى الطروس ولكن النتف القليلة التى بقيت .. دلت على مجد صاحبها .. وعلى أنه كان يتمتع بشاعرية حقة مبدعة ..

ومن هؤلاء الشعراء الذين لم يجدوا إنصافا كبيرا .. ولم تلق أضواء كافية على حياتهم ولا على فنهم الشعري .. من هؤلاء الشاعر الفارس الصحابي « زيد الخيل » .. بل « زيد الخير » كما سماه أو لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما وفد عليه مع قومه من بني طيء ..

على أنه ينبغى أن أذكر بالإشادة فى مجال الحديث عما نال بعض شعرائنا من إهمال الباحثين عبر الأجيال ـ ما يضطلع به الآن نفر من الباحثين ـ خاصة فى العراق الشقيق ـ من العناية بالتراث والعمل على إحيائه ، والقيام بجمع أشعار بعض أولئك الشعراء الذين قبعوا فى الظل ، مع دراسة حياتهم ومن هؤلاء شاعرنا زيد الخير . فقد جمع شعره الأستاذ الدكتور (نوري حمودي القيسي) وهو باحث عراقي جليل ، كان ـ من قبل ـ أحد أساتذة جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

ومع أن الدكتور القيسي ، قد ترجم للشاعر زيد الخير ـ فى مستهل مجموعته ، إلا أن اهتمامه ، كان منصبا فى الدرجة الأولى على جمع شعر الشاعر من شتات الكتب والمصادر .. وهو جهد قيّم حميد .

لذلك ، فلا يزال مجال القول متسعا للحديث عن ترجمة الشاعر البطل .. بل إن البحث فى حوادث حياته وأخبارها ، ومحاولة تنظيم تسلسلها ، والوقوف على مواطن العبرة والقدوة فيها ، كل ذلك يعد واجبا مفروضا على المعنيين بالتراث العربي ، خاصة ذلك التراث الذى يتصل بأحداث العصر الإسلامي الأول وبتلك الحقبة المباركة من تاريخ الحركة الاسلامية على عهد الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم .

وفى حياة الصحابي « زيد الخير » .. أكثر من جانب مثير ، جدير بأن يبرز ويجلى ، وتلقى عليه الكثير من الأضواء ليكون فيه المُثُل الطيبة .. عدا جانب البحث المحض عن الحقيقة ممحصة .. رغبة فى الحقيقة ذاتها ..

فقد كانت شخصية زيد الخير ، شخصية فذة متميزة تجمع الكثير من مميزات الشخصية الناجحة .

فهو من حيث المظهر ، رجل جسيم وسيم ، طويل القامة طولا مفرطا حتى

ليمتطى الحصان الفاره فتتدلى قدماه إلى الأرض .. فتخطان فيها .. فلا غرو ان صاحبت الهيبة مظهره .. وأضفت عليه روعة وبهاء .. وكانت عنصرا مساعدا بل مثالا فى زعامته ، ومكانته عند قومه .. وعند غير قومه .. ممن اتصلت بهم أحداثه ، ووصلت إليهم أخباره .

وهو رجل حرب .. بطل من الأبطال .. محارب شجاع .. يقارع الخصوم ويخوض المعامع ، ويفل الجموع ، ويبهر الفرسان شجاعة ومصاولة .. وهذا جانب مهم جدا فى تلك الحياة القبلية التى كانت تعيشها الجزيرة العربية فى عصره .. حيث تعتمد القبيلة على صناديدها فى حماية نفسها ، وحريمها وأموالها .. وذراريها .. وكلما برز الواحد منها فى مجال القتال والنضال والدفاع عن الذمار ، كبر مقامه فى قومه ، وازداد احترامه بينهم ونما صيته ، واعتد من مفاخر العشيرة .. وكذلك كان زيد الخير .. فمازال أمر شجاعته ينمو ويطرد ويسبق ، حتى أصبح فى ذروة رجال قبيلته من بني طيئ وأصبح الشخصية المرموقة المهابة .

وكما كان معظم شجعان العرب ، يجمعون بين الشجاعة والكرم .. كذلك كان الأمر لدى زيد الخير ، فقد كان مضيافا وهابا ، يقري ضيوفه ، ويصل المحرومين ، ويهب الأموال .. فيضيف بكل ذلك مجدا جديدا إلى أمجاده المتعددة . ونجد فى قصص حياته أنه يهب هبات من لا يخشى فقرا ولا فاقة .

وعدا كل هذه المحامد ، نجد أن زيد الخير ، كان رجلا موهوبا رجلا فنانا .. أوتي حسا رهيفا ، أخرجته موهبته إخراجا جميلا ، فكان ذلك الشعر الذى لم يصل إلينا منه إلا القليل .. بيد أن هذا القليل يشف عن شاعر رقيق انصاع له فن التعبير الشعري .. ولازمه فى أطوار حياته حتى حين احتضاره ولم يفته أن يرصد حالة نفسية عنيفة هزت أعماق وجدانه حينما وجد نفسه يموت فى الطريق إلى

بلده وأهله .. التفتت عيناه فلم تجد من ذويه أحدا .. حقا إنه لم يفقد رعاية أصحابه رفقة دربه ، أعضاء وفد طيئ العائد من المدينة المنورة بعد لقاء تاريخي مع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام .

كما لم يفقد عناية حانية من عائدات كريمات من نسوة القرية التى مر بها فى الطريق ولم يعبرها .. إذ عاقه مرضه .. واشتدت عليه وطأة الحمى .

حقا لقد جاء هؤلاء النسوة يعدنه أو يمرضنه ، ولكن أين هو من نساء أهله وذويه وقومه ؟، أين عطف الغريب من حنان القريب ؟

ويكبر الألم فى نفسه حينما يشعر أن معظم صحبه سوف يرتحلون ليتركوه لهؤلاء العائدات الغريبات .. إنها تجربة إنسانية مؤثرة ، عبر عنها زيد الخير الشاعر الرقيق قائلا :

أَمُرْتَحِلٌ صَحْبِى .. المشارقَ غُدْوَةً وأُتْرَكُ فى بَيتٍ بفَرْدَةَ مُنْجِدِ !
سَقَى اللهُ ما بَين القَفيل فَطابَةٍ فما دُونَ أرْمَامٍ فما فَوقَ مُنْشِدِ
هُنَالِك لو أَنى مَرِضتُ لعَادَنِى عَوائِدُ مَنْ لم يُشْفَ مِنْهن يُجْهَدِ
فَليتَ اللواتى عُدْنَنى لم يعدْنَنى وليتَ اللوَاتى غِبْنَ عنىَ عُوَّدِى

وفى البيت الأخير من حرقة الوجدان دفقة غامرة .. إذن فقد كان صاحبنا يجمع بين جمال الوجه والجسم والمظهر ، وجمال الرجولة الحقة بما فيها من شجاعة وكرم مروءة .. وبين جمال الفن والحس المرهف الرقيق .

ثم يشاء الله سبحانه وتعالى أن يهب لهذا الشخص الفذ هبة عظمى فيختم له بخاتمة الاسلام وذلك قبل أن يتوفى بأيام قلائل .. أو أسابيع قلائل ، ليضاف مجد جديد إلى أمجاده المتعددة .. هو قمتها .. فينعم بلقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكرم وفادته ، يوسع له فى مجلسه ، ويؤثره بوسائده ، ويخلع عليه لقبه

الجديد تشريفا له وتخليدا لفضله ومروءته وحبه للخير .. فيطلق عليه لقب (زيد الخير) بدلا من لقبه السابق (زيد الخيل) ، ذلك اللقب ، الذى كان فى الجاهلية ، تشريفا لمعان جاهلية .. يكبرها القوم .. فان من ملك من الخيل عددا مرموقا أصبح مرموق المكانة ، بعيد الأحدوثة ، وكذلك كان زيد الخير ، صاحب ثروة وجاه ، وكان شغوفا بالخيل ، شغوفا بطرادها وترويضها واقتنائها ، كثير اللهج بها . لذلك لا عجب ان أطلق عليه القوم فى جاهليته « زيد الخيل » .. على أن الخير معقود بنواصى الخيل .. وقد جمع الله لزيد بين الحسنيين : حبه للخيل وحبه للخير ، فرأى الرسول الحكيم عليه الصلاة والسلام أن يرجح الجانب الذى يجمع بين الحسنيين فيجعل العام محل الخاص فيطلق عليه لقب « زيد الخير » . فما أحرانا أن نتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فنلقبه بما لقبه به ولنا فى رسول الله أسوة حسنة ....

المؤلف



نسبه - أسرته

لا يستطيع الباحث أن يحدد متى ولد زيد الخيل .. ذلك لأن العصر الجاهلي والبداية من عصر صدر الإسلام لم يكونا عصر تدوين .. فضلا عن أن الاهتمام بتدوين تاريخ المولد ، كان قليل الحدوث حتى عهد التدوين نفسه .

والفترة ما بين العهدين : الجاهلي وصدر الإسلام هى الفترة التى عاش فيها زيد الخيل .

ومن المؤكد أنه قضى معظم أيام عُمْرِه فى العصر الجاهلي .. وفيه اشتهر بخيله وبحروبه وبشخصيته الفذة .. وفروسيته .. وكرمه ومروءته ثم أضاف بل توج أمجاده فى الجاهلية بأن أدرك فضيلة الإسلام .. فأسلم ، وحسن اسلامه ، وبات مسلما صحابيا .. رضي الله عنه .

وزيد الخيل هو :

زيد بن مهلهل بن يزيد بن منهب بن عبد رضا بن المختلس بن ثوب بن كنانة بن عدي بن مالك بن نايل بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء[1]

---

(١) تختلف المصادر فى أسماء جدوده زيادة ونقصانا وضبطا ، ولكننى اخترت ما اختاره أستاذنا البحاثة الجليل الشيخ حمد الجاسر فى مجلة العرب ج ٧و٨ السنة التاسعة المحرم وصفر ١٣٩٥ ص ٦٠٨ نقلا عن النسب الكبير وليراجع الاصابة وأسد الغابة والأغاني - ترجمته .

ويدلنا هذا النسب على أن زيد الخيل من قبيلة طيء ، وهى قبيلة يمنية قَحْطانية .. ذات مكانة مرموقة فى الجاهلية والإسلام ، وقد اشتهر منها فيها رجال كثير ، زيد الخيل أحدهم ، ومنهم فى الجاهلية حاتم الطائي ، الذى استفاضت شهرة كرمه .. وممن اشتهر من شعرائها فى العصر العباسي الطائيان : أبو تمام والبحتري .

والبطن الذى ينسب إليه زيد الخيل هم بنو المختلس ، وهو من بني نبهان بطن من الغوث ولذلك يقال فى نسبة زيد الخيل النَّبْهاني(١)

ووالد زيد الخيل هو « مهلهل » ولا يرد فى أخباره شيء مفصل عنه ، ولكننا نعلم من تلك الأخبار أن والده قد عمر طويلاً ، وأنه صار شيخا مُسِناً .. أو كما يقول الخبر (شَيْخَاً كبيراً ، قد اختلفت تُرْقُوَتَاه كأنه نَسْرٌ)(٢)

ومن هذا الخبر ذاته نعلم أن لزيد الخيل أُختاً لم يرد اسمها كانت أموالها من الابل فى رعاية زيد الخيل(٣)

ووالدة زيد الخيل وهى : قوشة بنت الأثرم الكلبية مِن بني تيم اللات من رفيدة فهى أيضا من قَحْطان وقد ورد ذكرها خلال بعض شعر الهجاء ، حينما كان زيد الخيل يلتحم مع بعض شعراء عصره فى مهاجاة .. من ذلك قول بجير ابن أوس الطائي :

(١) ـ جاء فى جمهرة الانساب لابن حزم ص ٤٠٣ (ولد نبهان : سعد ونايل ذكرهما امرؤ القيس فى شعره بنو هل جيرانها وحماتها وتمنع من رماة سعد ونايل فولد نايل : مالك وغوث بطنان ، فمن بنى غوث بن نايل بن نبهان .. زيد الخيل)

وقد حدثنى من أثق به من أهالى حايل أن لنبهان بقية فى البادية حتى الآن ، ويقال ان نبهان اسمه (سودان)

(٢) ـ الاغانى ج ١٦ ص ٩٧

(٣) ـ الاغانى ج ١٦ ص ٩٨ ولكن ورد فى كتاب الفروسية للدكتور (نورى حمودى القيسى) ص ٦١ قوله : (كان للمرأة حق التملك ، فجليلة بنت المهلهل كان لها ابل يرعاها زيد الخيل) . ومرجعه فى ذلك الاغانى .. وأحسبه يشير إلى الخبر ذاته ، ولكن ليس فيه ذكر (جليلة) فى النسخة التى بين يدى من الأغانى ، كما أننى فهمت من الخبر أن الابل كانت فى رعاية زيد الخيل ، ولكنه (لم يكن يرعاها بنفسه)

تَمنيت أَن تَلْقى (بُجَيراً) سَفَاهَةً فلاقَيته ، يَعْدُ وبه الوَرْدُ مُعْلَما
فأَلفَيتَ مَرْبُوعاً كما قلت مَأزِمَاً وولّيت يا زيدُ بن قَوْشَة ، مُعْدَما[1]

ومنه أَيضا شعر لجَبْلَة بن مالك بن كلثوم المعروف بابن شماء ، اضربت عن ذكره لما فيه من فحش[2]

ولا تحدثنا المصادر بشئ من التفصيل عن زوجته ، وكل ما نجده عنها ، أنها كانت على الشرك وأنها عندما بلغها خبرُ نَعْيه .. قَافِلاً من وفادته على النبي صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة .. ورأت ناقته تحمل رحله خاليةً منه .. أخذتها سَورةُ الفاجعة فيه .. فلجأتْ إلى تصرف مثير ، إذْ عمدت إلى الراحلة ، فاحرقتها بالنار[3] . أَوْ لعلها عمدت إلى الرحل . فاحرقته وقالت :

أَلا نَبِّها زَيداً لِكُلِّ عَظِيمةٍ إذا أَقْبلتْ أَوبَ الجَرَادِ رِعالُها
لَقَاهُم فما طَاشَتْ يَداهُ بِضَرْبِهِم ولا طَعْنِهم حتى تَوالَىَ سِجَالُها[4]

ونَجمَ عن تصرفها الأَخرق ذاك ، أَن ذهب كتابُ النبى صلى الله عليه وسلم ، لزيد الخير فى اقطاعه فيد وأَراضى أخرى معه ، وقد أثارت بعملها الأهوج هذا ، استياء الرسول عليه الصلاة والسلام[5]

أما أبناؤه الذكور ، فنجد فى أَخباره اسماء عدد منهم : مُكنِف ، وهو أكبرهم ،

---

(١) ـ تاج العروس مادة قوش . أما ما ورد فى بعض المصادر من تسميتها قوسة بالسين فهو تصحيف على ما أعتقد ، وفى الاصابة قوشة بنت الأثرم .

(٢) ـ معجم البلدان مادة موفق ..

(٣) ـ سيرة ابن هشام ، خبر وفادة طيء . والأغانيج ١٦ ترجمة زيد الخير

(٤) ـ ديوان زيد الخيل ص ٧

(٥) ـ ديوان زيد الخيل ص ٦

وبه كان يكنى ، ومهلهِل ، وعُروة ، وحُريث وحَنْظلة . وتترجم معاجم الصحابة لبعضهم ، وسيأتي الحديث ـ إن شاء الله ـ مفصلاً عنهم ـ جميعا فى فصل خاص بهم (١)

كما انتهى إلينا أنه كان لزيد الخير أخ اسمه حِصْن .. وهو حِصْن بن مهلهل .. وأن من ولده جاء القَشْعم بن ثعلبة بن عبد الله بن حصن بن مهلهل .. وهو قاتل (داهر) ملك الهند أيام عبد الملك بن مروان (٢)

وقد عرف زيد فى الجاهلية بزيد الخيل .. والتعليل المتداول فى سبب اطلاق هذا اللقب عليه .. أنه كان يمتلك مجموعة من الأفراس .. وكانت هذه الظاهرة فى العصر الجاهلي لافتة للنظر لأَن الكثيرين من فرسانهم لم يكونوا يملكون إلا فرسا أو فرسين .. بينما اشتهر زيد بخمسة أو ستة أفراس ذات أسماء معروفة .. على انه يرد على هذا القول اعتراض ، بأن هناك من رجال الجاهلية ، وفرسانهم المعروفين من كان يملك عدداً كبيراً من الأفراس .. كالزِّبْرِقان بن بدر ، فيكون التعليل إذن لمجرد التماس سبب ما لاطلاق هذا اللقب .. ويصح فى هذه الحالة التماس آخر هو شَغَفُ زيد الخيل ، وعنايته البالغة بها ، وتدليلها وتضميرها وأنه لا يفتأ يذكرها ، ويركز على عنايته بها فى أشعاره ، كما يتضح فى مثل قوله :

يابَنـي الصَيَّداء رُدُّوا فَرَسِي إنمـا يُفْعَـلُ هذا بالـذَلِيلْ .
لا تُذيلُـوه .. فانـى لم أكُنْ يا بنـي الصَيْداء لمهـرى بالمُذِيلْ (٣)

ونحن نجد أن العرب ، كثيرا ما تلقب الشاعر بما قد يلهج به فى شعره ..

---

(١) ـ قال الأصفهانى فى الأغانى : ومن الناس من ينكر أن له من الولد إلا عروة وحريث .. وذكر أنهم كلهم يقولون الشعر .

(٢) ـ جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٤٠٤

(٣) ـ أذال فرسه : لم يحسن القيام بها .

ولعلها ـ لذلك ـ أطلقت لقب زيد الخيل على زيد بن مهلهل ، لكثرة ذكره الخيل في شعره لا لكثرة افراسه .

على أنه يرد من بين الاحتمالات أيضا ، أن زيد بن مهلهل كان كثير الطِرَادِ على ظهور الخيل .. أى أنه كان حِلْسها ، وفى هذا أيضا ما يدعو إلى اطلاق هذا اللقب عليه . على أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، بعد وفادة زيد عليه واعلانه اسلامه .. ولما رأى فيه من اكتمال عناصر الشخصية القوية .. فى مظهره الفاره ، ومكانته من قومه ، وفيما اجتمع له من عناصر الخير ـ رأى فيه ما يؤهله لأن يجرى على لقبه الذى فيه معنى الفروسية ، تعديلاً طفيفا من حيث اللفظ يبدو وكأنه تصحيف يسير ، ولكنه بالغ الدلالة فى المعنى وتبدو الفروسية فيه جُزءاً مِنْ كُلٍّ .. لقد أطلق عليه : زيد الخير .. والخير اسم لكل الخِصال الطيبة .

***

ومسَاكن طئ .. القبيلة التى ينتسب إليها زيد الخير ، هى منطقة جبلى أَجَا وسَلْمَى .. ولايزال هذان الجبلان يحملان اسميهما القديمين حتى الآن .. وهما فى منطقة حائل . شمالى المملكة العربية السعودية .

ويبدو من خبر إقطاع الرسول صلى الله عليه وسلم له أرض فيد .. أو أراضى أخرى معه .. أن هذا الاقطاع إنما كان بمنازل زيد نفسها .. ليَخصه بالتكريم ولئلا يعترضه فيها معترض . وجدير بالذكر ، أن زيد الخيل كان حين وفادته ، سيد قومه .. وقد كان من عادة الرسول صلي الله عليه وسلم تكريم الرؤساء من أمثاله ، واعطاؤهم الهِبات ، واقطاعهم من الأَراضى السُوح ما يَتألف به إسلامهم .

و .. فيد التى مَنحَها الرسول صلى الله عليه وسلم لزيد الخير ، تقع فى جنوب

مدينة حائل وتبعد عنها بمقدار (١٢٠) كيلو مترا وبها قصرْ تاريخي يُسمى (جراش)[1]

ولعل تجمعات نبهان كانت فى هذه المنطقة .

وتصريح زيد الخيل عند وفاته ـ بأسماء أماكن معينة من منازل قومه بل لسبحه بها ليدل على أنها منازله خاصةً ، فقد ذكر ما بين القَفَيل ، فطابة ، وما دون أَرْمام ، وما فوق منشد . اذن فهذه مساكنه ومساكن أهله وأحبائه ومراتع صباه ، ومسارح شبابه .



(١) العدد الرابع من المجلة العربية .

صِفَاتُه

اشتهر زيد الخير بصفاته الجسمية الفارهة ، فقد ورد أنه كان طويل القامة جدا[١] ، حتى انه ليركب الفرس الفاره فَتَخُطُ رجلاه على الارض كأنـه على حِمار[٢] وكان أحد رجـال قلائـل معـدودين يطلقـون على كل منهـم : مقبّـل الظعينة[٣] .

وكان إلى طوله جميلا وسيماً[٤] وفيه جسامة[٥] ، وكانت هذه الصفات الجسمية فيه تجعله رجلا مَهيبا ، وتكسبه شخصية متميزة .. وهو بها محط الانظار .. كما هو بها فى الوقت ذاته محل هيبتها .. وقـد اسْتَلفَتَـتْ شخصيتـه المتميزة ـ هذه ـ الرسول[٦] صلى الله عليه وسلم ، ووجد فيها مصداقا لما استفاض من صفته ،

---

(١) الأغانى ص ٩٥ ج ١٦

(٢) الأغانى ص ٩٣ ج ١٦

(٣) الكامل للمبرد ص ٤٥٩ وهم قيس بن سعد والعباس بن عبد المطلب/١١ رحمه الله وولده ، وجرير بن عبد الله البجلى ، والاشعث بن قيس الكندي ، وعدى بن حاتم الطائي وابن جذل الظعان الكناني ، وابـو زبيد الطائى ، وزيد بن مهلهل الطائى ، فقد كان احدهم يستطيع ان يقبل المرأة على هودجها من طوله ، ولذلك يقال للرجل منهم : مقبل الظَعينة .

(٤) و(٥) : الأغاني ص ٩٥ ج ١٦

(٦) سيرة ابن هشام : قصة وفادته

وإن ما تناهى اليه عنه لم يكن مبالغة من تلك المبالغات التى كانت تستفيض فى أخبار الجاهلية .

واذا استقرأنا أخباره ، نجد إجماعا على هذه الصفة فيه ، فهذا أعرابي من بني شَيبان ، يقول : فى سياق قصة يصف فيها محاولته سرقة إبل تخص أخت زيد الخيل : (فلما رحبت الشمس ، إذا فارس قد أقبل لم أر فارساً قط أعظم منه ، وأجسم ، على فرس مشرف[1] .

وكان الى صفاته الجسمية تلك ، متميزا بكثير من الصفات المعنوية الحميدة .. فهو كريم سخيّ ، كثير العطاء ، صاحب مروءة وعفو .. ومن قصصه الدالة على ذلك ما رواه الرجل الشيباني نفسه فى القصة ذاتها حينما أصابت قومه سنة[2] فاستاق إبلا لأخت زيد ، كانت فى رعايته .. فتبعه زيد حتى أدركه فلما أيقن الشيبانى بالواقعة نتل كِنانته[3] ، ووقف يحول بينه وبين الابل ، بعد أن عقل فحلها .. لأتْرك الشيباني يقص هذا الجزء من القصة :

قال زيد الخيل : أحْلُل عِقَالَ الفحل .

ـ كلا .. والله .. لقد خلفت نُسَيات[4] بالحيرة وآليت ألِية لا أرجع حتى أفيدهن خيرا .. أو أموت .!

ـ انك لميت .. حل عقاله .. لا أم لك ..

ـ اما إلا ما قلت لك ..

---

(١) ص ٩٧ ج ١٦ من الأغاني

(٢) يعنى قحطا وجدبا .. والقصة في الأغاني ص ٩٧ ج ١٦ .

(٣) اى اخرج ما بداخلها من سهام

(٤) اى بعض النساء .. يقصد اهله .. حيث وضعهن فى جوار قصور الحيرة ليصبن من بعض فضل أهلها ريثما يرجع إليهن لشئ يغنيهن .

ـ إنك لمغرور .. انصب لى خطامه[1] واجعل فيه خمس عجر[2]

قال الشيبانى : ففعلت . فقال :

ـ اين تريد ان أضع أَسهمى ؟

ـ فى هذا الموضع ..

قال : فكأنما وضعه بيده .. ثم أقبل يرمى حتى أصاب الخمسة بخمسة أسهم .. فرددت نبلي .. وحططت قوسي .. ووقفت مستسلما .. فدنا منى وأخذ السيف والقوس ثم قال : ارتدف خلفى .. ثم قال :

ـ كيف ظنك بى ؟

ـ ثم عرف الشيباني أن صاحبه انما هو البطل الذائع الصيت ؛ زيد الخيل .. فقال يستعطفه :

ـ كن خير آخذ

ـ ليس عليك بأس .. اما لو كانت هذه الابل لى لسلمتها إِليك .. ولكنها لبنت مهلهل[3] فأقم عليّ ، فانى على شرف إغارة .. فأقمت أياما .. ثم أغار على بني نمير بالملح فأصاب مائة بعير .. فقال : هذه أحب إليك .. أم تلك ؟ قلت : هذه قال : دونكها ..

وبعث معى خفراء من ماء إلى ماء حتى وردوا بى الحيرة .. (أى حيث كان أهله ونسياته) فلقيني نبطي ، فقال لى : يا أعرابى : أيسرك أن لك بابلك بستانا من هذه البساتين ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قال : هذا قرب مخرج نبيٍّ يخرج فيملك هذه الأرض ، ويحول بين أربابها وبينها ، حتى ان أحدهم ليبتاع البستان من

---

(١) أى الحبل الذى يجعل فى عنق البعير

(٢) أى : عقد

(٣) أى اخته هو ، أى اخت زيد الخيل

هذه البساتين بثمن بعير . قال : فاحتملت بأهلى حتى انتهيت إلى موضع ، فبينما نحن فى الشيطين على ماء لنا ، وقد كان الحوفزان بن شريك أغار على بنى تميم ، فجاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت ، وما مضت إلا ايام حتى شريت بثمن بعير من إبلى بستانا بالحيرة .

وفى يوم الملح يقول زيد الخيل :

ويوم المِلْح .. مِلْح بنى نُميرٍ ... أَصَابتكُم بأَظْفَارٍ ونَابِ[1]

سُقت هذا الخبر كاملا لا لمجرد الدلالة على كرم زيد الخيل ، ومروءته ، وعفوه عند المقدرة وتقديره لتلك الظروف السيئة القاهرة التى اضطرت ذلك الرجل الشيباني إلى ما اضطرته إليه من سرقة أو نهب .. ولا لسرعة طراده ولحاقه به .. ولا لتعففه من التصرف فى مال غيره ولو كان هذا الغير أخته (بنت مهلهل) ..

إنه وإن كانت هذه الصفات واردة فى الخبر ـ لكنى لم أسقه لذلك وإنما سقته لشيء واحد ينفرد به لم يرد مثله فى غيره من الأخبار ، وهو مهارة زيد الخيل فى الرمي بالسهم .. حتى ليصيب خمس عقد من حبل ، بخمسة أسهم لم تزد .. لكل عقدة سهم يصيبها حتى لكأنه يضعها بيده حسب ذلك التصوير الرائع الذى رسمه الشيباني وإلا فان أخبار زيد الخيل الاخرى فيها دلائل على كرمه وحسن قِراه ، وشجاعته ، وفروسيته .. ومروءته .. وحسن تصرفه فى الحروب كرا وفرا .. وكان طبيعيا وقد اجتمعت لزيد الخيل ، كل تلك الصفات ، والشمائل الحميدة ،

---

(١) نص القصة فى الأغانى ج ١٦ ترجمة زيد الخيل ، والموضع سقط اسمه من أصل الكتاب وفى معجم البلدان :

ولو كانت تكلم أرض قيس ... لأضحت تشتكى لبنى كلاب
ويوم الملح ملح بنى سليم ... حدوناهم بأظفار وناب
وقد علمت بنو عبس وبدر ... ومرة أننى مر عقابى

انظر مادة ملح (بكسر الاول وسكون اللام)

أن يكون طموحا .. وأن يتطلع إلى سيادة قومه .. بل أن يتعجل الوصول إلى رئاستهم .. وأن يعمل جادا ليحوز هذه الرئاسة .. إذ نجد فى أخباره ؛ أنه أغار على بني فزارة ، وبني عبد الله بن غطفان .. ورئيسهم ـ يومئذ ـ (أبو ضب) ، ومع زيد الخيل من بني نبهان بطنان يقال لهما : بنو نصر ، وبنو مالك ، فأصاب وغنم ، فقد كان مظفرا ، قلما تخيب غاراته .. وساقوا الغنيمة فاقتسموها ، فقال لهم زيد :

اعطوني حق الرئاسة .. وحق الرئاسة حسب عادتهم هو المِرْبَاع ، أى رُبْع الغنيمة .. فأعطاه بنو نصر ، وأبى بنو مالك فغضب زيد وانحاز إلى بني نصر .. ولكن بني مالك حينما كانوا يقتسمون غنائمهم عادت فغشيتهم فزارة وغطفان ، فاستنفدوا ما بأيديهم ، فصاحوا آنذاك : يا زيداه أغثنا .. يستنجدون بزيد الخيل .. فعاد وشدَّ عليهم ، وقتل رئيسهم (أبا ضب) ، وأخذ الغنائم وأرجعها إلى بني مالك ، وكأنما يقدم برهانا جديدا على حقه فى الرئاسة ، وفى ذلك يقول من أبيات :

لقَدْ عَلِمتْ نَبهَانُ أنى حَمَيْتُها ... وأنى مَنَعتُ السَبْيَ أن يَتبدَدا
عَشِيةَ غادَرتُ ابن ضَبٍ كأنما ... هَوى عنْ عُقابٍ من شَمَاريخ صنددا [1]

وفى خَبر آخر ، أنه خرج مع بني نبهان لغزو فزارة ، فانهزمت فزارة وساقت بنو نبهان الغنائم ، ولكن فزارة عادت فحشدت لبني نبهان ، مستعينة بأحياءٍ من قيس ، واشتدت الوطأة على بني نبهان ، حتى استثار الموقف حمية زيد الخيل .. ولكنه لم يكن ـ إلى ذلك اليوم ـ قد حصل على رئاسة قومه .. أو على المرباع ، لذلك نادى : يا بني نبهان .. أأحمل ولي المرباع ؟ قالوا : نعم .. فشدَّ وتحقق النصر على يده .. وتحققت له الرئاسة .. [2]

---

(١) الأغانى ص ١٠٤و١٠٥ من ج ١٦

وصندد : يقول عنه (معجم البلدان) إنه جبل فى تهامة ويورد قول ضرار بن الأزور الاسدى :

... وحتى تَميطوا تهمداً من مكانه ... وحتى تُزيلوا بعد ثَهْلان صَنْدَدا

(٢) الأغانى ص ١٠٩ ج ١٦ المِرْباع : ربع الغنيمة

وزيد الخيل لم يَسُد بني نبهان فحسب .. ولكنه ساد من بعد ، طيئا كلها .

يدل على ذلك : انه حينما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة تسع أو عشر من الهجرة كان هو سيد قومه .. ولقد وجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم كل حفاوة .. ففاز بثناء عاطر من الرسول الذى صارحه بأن أوصافه التى بلغته طابقت شخصيته .. بل لقد كان فوق ما وصف ، وقد افسح له فى المكان وقدم له متكأ ، وأهدى إليه مقدارا من الذهب وأقطعه منطقة في فيد ، وكل هذا الاكرام يدل على المكانة العالية التى يتمتع بها زيد الخيل .. بل لقد أشعره الرسول الكريم أنه باسلامه حاز الخير والفوز.. ولذلك أطلق عليه لقب زيد الخير بدلا من زيد الخيل .

ومما يدل على طموح نفسه ، وعلوّ همته أنه حينما وفد على النبى صلى الله عليه وسلم طلب من الرسول الكريم أن يعطيه ثلاثمائة فارس ليغير بهم على قصور الروم .. فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أى رجل أنت يا زيد ؟ ولكن أم كلبة تقتلك .. (يقصد : الحُمَّى)

ومن تمام عقل زيد الخيل .. أنه كان يكره قطع الرحم .. والقتال بين ذوي القربى .. وفى سيرته أكثر من شاهد على ذلك ، فهناك خبر بأن قتالا وقع بين أخلاط من طيء ذاتها ، فكره زيد ذلك لهم ، ونهاهم ، فلم ينتهوا ، فما كان منه إلا أن اعتزلهم وجاور فى بني تميم .. إعرابا عن سُخْطِه واستيائه(١)

وهناك خبر آخر ، أنه تردد طويلا أن يخوض حرباً بين أطراف من طيء .. وأنه منع أبناءه أن يخوضوا مثل هذه الحرب ، لما فيها من قطع للرحم .. وإهدار دم ذوي القربى معلماً أولاده مكارم الأخلاق .

وقد امتدح فيه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم خصلتين قائلا له : إن

---

(١) ص ÷ : ١١٠ من الأغانى ـ ترجمته .

فيك لخصلتين يحبهما الله عز وجل ورسوله .. الأَناة والحلم[1] .

وفى سيرته شواهد كثيرة على حلمه .. منها : إطلاقه سراح الحطيئة الشاعر .. على ما فى الحطيئة من سَلاطة لسان ، وشدة هجاء .. ولكن مواقفه مع الحطيئة جعلت هذا الأخير ، أسير إحسانه وحلمه ، حتى لقد رفض أن يهجوه ، حينما دعى الى ذلك ، رغم ما بذل من إغراء ورغم فاقته .. بل فعل العكس تماما فامتدحه[2] . ومع أن زيد الخير قد اشتهر بالشجاعة والفروسية ، وخوض وقائع الحروب ، والاصطلاء بنيرانها ، ومع أنه كان قلما يخوض حربا ، إلا ويخرج منها ظافرا .. مع كل ذلك .. فلم يكن متهورا فى إقدامه وإنما كان يرى من الكياسة أن يقدم متى كان الاقدام مواتيا ، ويحجم أو ينسحب متى رأى أن ذلك أكثر ملاءمة .. وقد عَبر عن ذلك فى قوله :

أُقاتِلُ حتى لا أرى لى مُقَاتِلاً ... وأَنْجُو إذا لم يَنْجُ إلاّ المُكَيّسُ[3]

ومع ذلك فقد كان شديد الوطأة فى حروبه ، وإن كان مَيَّالا للعفو ، وإطلاق سراح أسراه ، إما مَنًّا وإما فِداء ، وهو مع ذلك كان فى بعض الأحيان يمعن فى النِكاية بخصمه متى كان خصمه عنيدا .. كما فعل بعامر بن الطفيل .. حينما أسره .. فافتدى هذا نفسه فأطلق سراحه .. ولكن بعد أن جَزَّ ناصيته .. وكان هذا من أكبر السبات عند العرب[4] .

وقد يشتد غضب زيد الخيل فتشتد نقمته ، وذلك حينما تستبد به الرغبة فى

---

(١) الأغاني ص ٩٥ ج ١٦

(٢) الأغاني ج ١٦ ص ١٠٧ ـ ١٠٩

(٣) نوادر أبي زيد ص ٧٩ ، والمكيس : معناها الكيس : ضد الأحمق

(٤) الأغاني ص ١٠٦ ج ١٦ ، وجز الناصية : أخذ شعرها

الانتقام ويحتفظ لنا تاريخه بحادثة واحدة فريدة تدل على ذلك .. فقد قتل رجل طائي اسمه (ذؤاب) من قبل بني عامر ، فغضب زيد لمقتله ، فركب في بني نبهان ، ومن تبعه من ولد الغوث ، وأغار على بني عامر ، وجعل كلما أخذ أسيرا قال له :

ـ ألك علم بالطائى المقتول ؟ فان قال : نعم . قتله ، وإن قال : لا .. خلّى سبيله ومنَّ عليه[1]

واتسم زيد الخيل بالذكاء .. ورغبته فى استكناه دقائق الأمور .. يدل على ذلك اهتمامه بسؤال النبى صلى الله عليه وسلم ، حينما وفد عليه ، مع مَنْ وفد من قومه عن صيد الكلاب المدرَّبة .. أهو حلال أم حرام ؟ فَعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنْ يذكر اسم الله متى أرسل كلبه ، ثم يأكل مما أمسك[2] ..

وهذه القصة تنم عن ولع زيد بالصيد والطراد ، وقد نزل فيها قرآن ، كان سؤال زيد وراء قصة نزوله ومما يتسم به زيد الخير ، ويعتد له فى محامده ، انه كان رجلا مخلصا لمبادئه .. فقد أسلم عن نية خالصة ، ورغبة حقيقية فى الاسلام ، وهناك أكثر من شاهد فى خبر وفادته على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو مثلا يتحرى عن دقائق الأمور لتكون تصرفاته وفقا للشريعة التى اعتنقها ، فيسأل عن صيد الكلاب ، ويطلب أن يجاهد ويشرئب إلى أمداء بعيدة .. إلى قصور الروم .. ثم هو لا يريد أن يتعرض بعد إسلامه لقتال أحد فقد قال لأصحابه حينما قفل من المدينة عائدا إلى بلاده : جنبونى بلاد قيس ، فقد كانت بيننا حماسات فى الجاهلية ، ولا والله لا أقاتل مسلما حتى ألقى الله .

---

(١) الأغاني ص ١٠٢ ج ١٦

(٢) الأغاني ص ٩٩ ج ١٦

ويستكمل زيد عظمة شخصيته بحسه الفني .. فهو فنان .. له شعر وله نثر .. أما الشعر فأمره معروف . وهو على إقلاله يمتاز بقريحة جيدة ، أما نثره .. فقد وصف زيد الخيل بالفصاحة والخطابة[1] .



---

(١) الأغاني ص ٩٦ ج ١٦

الخيل.. في حياة زيد الخير

يا بنـــي الصَيْداء رُدُّوا فَرسِي إنّمــا يُفْعَــلُ هَذا بالذَلِيلْ
عَوِّدوا مُهْــرِي الــذى عَوَّدتُه دَلَــجَ اللَيلِ ، وإِيطــاءَ القَتِيلْ
واستبــاء الــزق مِنْ حاناته شَائِــلَ الرِجْلَــينِ مَعْصُوبــا يَمِيلْ

أورد الأصفهاني هذه الأبيات السلِسة الجميلة ، المُنْسابة صَوْتا من أصواته أو أُغْنية من أغَانِيه السائرة ، في كتابه الفريد (الأَغانى) ثم قال كعادته : « الشعر لزيد الخيل الطائي والغناء لمحرز ... » إلخ ..

ثم انطلق بعد ذلك يتحدث عَنْ زيد الخيل ، ويعرفه ويذكر طرفا من أخْباره وأشْعاره .

وإذا أخذنا نتأمل هذه الأبيات الجميلة التى أخـذت طريقهـا إلى مجـالس الغناء ، ودارت على لهَوات الفنانين من مغنِّين ومغنيات ، وانسابت مع الألحـان والمعازف .. لم نجدها كالعادة تتحدث عن جمال امرأة .. أو تتغزل فى مفاتنها .. ولا تنقل شكوى من هجر ، ولا تصور لقاء على موعد أو غير موعد ، ولا ترسم موقفا

معينا من مواقف الهوى .. بل تجد محورها فرسا .. مجرد مهر .. ولكن يبدو أن هذا المهر عزيز جدا على صاحبه .. رفيع المكانة لديه .. لم لا ؟ وهو من خيل زيد الخيل بل زيد الخير .. وزيد الخير شديد العناية بالخيل .. كبير الشغف بها .. لا يفتأ يلهج بذكرها .. ويدللها ويعنى بها أيّما عناية ،ولا أدلُ على ذلك من أبياته هَذه .. فهو يقول لنا فيها ؛ إن مهره هذا ليس مُهْراً عادياً .. فقد ربّاه تربية خاصة ودرّبه تدريبا معينا .. فهو يركض فى الليل ويدلج ساريا فى الليالى المعتمة .. لا يبالى بما يصادفه فى سبيل ذلك من وعورة درب .. أو عوائق طريق . يصعد الجبال ويهبط الوهاد ..

بل لقد اعتاد على شئ أكثر دلالة على الجُرأة والإقدام .. لقد تدرب على أن يطأ القتلى ليقضي فيهم على الأنفاس الأخيرة .. إنه حصان محارب جبار .!!

ومع كل ذلك .. فهو أيْضا مهر طروب أو انه يشارك صاحبه أيضا ساعات لهوه .. هو وضيوفه .. وواضح أن هذه الأبيات لزيد الخيل إنما قالها فى جاهليته .. ماضياً فيها على ما ألفت الجاهلية من حياة .. فيها مِنْ حرب ، وفيها من لهو وقصف ..!!

إذن .. وما دام زيد بن مهلهل ، شديد الولع بالخيل .. يدربها تدريباً خاصاً ويستكثر منها ويدللها ، ويعنى بها هذه العناية التى رأينا طرفاً منها فى أَبياته السالفة .. فلا غرو أن يطلق عليه لقب زيد الخيل .. ذلك اللقب الذى ظلّ يحمله .. حتى اختار الرسول صلى الله عليه وسلم حين وفادته عليه ضمن وفد طئ .. أن يلقبه بزيد الخير بدلا من زيد الخيل .

يحدثنا صاحب (الأَغاني) ، أنه « إنما سمي زيد الخيل لكثرة خيله ، وأنه لم يكن لأحد من قومه ولا لكثير من العرب إلا الفرس والفرسان ، وأنه كانت له

خيل كثيرة »[1]

على أننا يجب ألا نأخذ ما حدثنا به الأصفهاني عن علة إطلاق هذا اللقب على شاعرنا قضية مسلمة .. ذلك لأنه كان هناك من العرب أيضا من كان يملك العديد من الخيل .. فلم تقترن أسماؤهم بالخيل .

و كما أسلفت فانني أعتقد أن كثرة عدد الخيل ليست وحدها السبب فى إطلاق هذا اللقب عليه .. وقد تكون أحد الأسباب .. ولكنى أعزو اللقب إلى هذا الشغف بالخيل عند زيد .. وهذه العناية الكبيرة بتربيتها وتدريبها وتدليلها .. والتغنى بها .. هذه الأسباب مجتمعة هى التى أهّلت زيد الخيل لهذا اللقب .

ومالنا نذهب بعيدا ، وهذا زيد الخيل نفسه يحدثنا أن حصانه الأثير لديه .. لا يقل منزلة عنده عن ولده .. ابنه البكر (مُكنِف) إنه يصرح بذلك تصريحا ، حينما يذكر « الهطال » أحد خيله الحبيبة :

أُقَـرِّب مَرْبَـط (الهَطَّـال) انى   أرى حَرْبَـا سَتَلْقَـحُ عَنْ حِيَالِ
أسـويه بمـكنف إذْ شَتَونا   وأُوثِـره على جُلٍّ العِيَالِ[2]

وهو حينما يحدثنا عن مساواته بين حصانه وبين مكنف ، لا يقتصر على المساواة فى الأَيام العادية .. بل هى مساواة فى الليالي العصيبة .. ليالي الشتاء القارسة حينما يكون الأَهل والولد ، أَحوج ما يكونون إلى رعاية خاصة ، فيها الدفء وفيها الغذاء الجيد وفيها العناية المتميزة . ومن هذين البيتين ، نعرف أَن (الهَطَّال) هو أحد أَفْراس زيد الخيل .. فهل كانت له أفراس أخرى مسماة ؟

---

(١) الأغاني:ترجمة زيد الخيل

(٢) ص ٧٩ ديوان زيد الخير ومكنف : على وزن محسن

يقول لنا أبو الفرج الأصفهاني : « وكانت له خيل كثيرة منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعرِهِ وهي ستة : الهَطَّالُ ، والكُمَيت ، والوَرد ، وكَامِل ، ودُوول ، ولاحق »[1] . وفي الورد يقول :

أبـتْ عَادةٌ للـوَرْدِ أنْ يَكْرَه اَلقَنا وحَاجَـةُ نَفْسي في نُمَـيرٍ وعَامِرِ[2]

وفي دوول يقول :

فأقسـم لا يُفَارِقنـي دَوُول أجُـولُ به إذا كَثُـرَ الضِرَابُ[3]

وفيما عدا ما ذكره أبو الفرج نجد أيضا ذكر فرسه كامل في قوله : مازلت أرميهم بثغرة كامل . وهو شطر ذكره صاحب (لسان العرب)

ويفخر زيد الخيل ، بأفراسه وبأصالتها وبأنها معروفة الأنساب ، كأن يقول مخاطبا أيضا بني الصيداء .. وهم بطن من بني أسد :

بتـا نزجـ ى نحوهـم ضمرا معروفـة الأنسـاب من منسر

وما دمنا قد عدنا إلى بني الصيداء .. الذين ورد ذكرهم أول هذا الفصل فلنعرج على قصة مهره الذي حازته بنو الصيداء ، فقال زيد أبياته تلك يوصيهم به خيرا .

القصة كما يرويها أبو الفرج الأصفهاني في كتابه (الأغاني) ؛ أن فرسا من

---

(١) الأغاني : ترجمة زيد الخيل

(٢) الأغاني (ترجمة زيد الخيل

(٣) الأغاني ترجمة زيد الخيل

وبعد أن أورد ابو الفرج شواهده على ذكر الهطال والورد ، ودوول ، قال : هذا ما حضرني من تسمية خيله في شعره ، وقد ذكرها » . ومعنى هذا النص أنه قد سمى خيله المسماة كلها في شعره .. ولكن النصوص التي بين ايدينا ، والتي جمعها ديوانه الذي صنفه الدكتور « نوري حمودي القيسي » ليس فيها أكثر من ذلك ..

خيل زيد ظلع (عرج) فى بعض غزواته لبني أسد ، فلم يستطع اللحاق بالخيل فأخذته بنو الصيداء ، فصلح عندهم ، وقيل : إنه خلفه فى بعض أحياء العرب ظالعا ليستقل ، فأغارت عليهم بنو أسد فأخذوا الفرس فيما استاقوه لهم .

على أنه لا ينبغي أن أهمل تعليقا ساخرا قاله أحد بني أسد على بيت زيد الخير :

عـودوه كالـذى عـودته   دلـج الليل وإيطـاء القتيل

فقد أنشد (أضبط بن الملّوح) هذا الشعر ، حبيبَ بن خالـد بن فضلـة الفقعسي (وهو أسدي) .. فضحك ثم قال : قولوا له إننا عودناه ما عودته .. دفعناه إلى أول من يلقانا ثم هربنا ..

ولا غرو أن يصدر هذا التعليق الساخر من أحد بني أسد ، الذين كانت لزيد الخيل فيهم وقائع !!

وبعد فيحسن بنا أن نقف وقفة قصيرة عند أسماء خيل زيد (الخير) أعنى عند هذه الأسماء التى عرفنا .. لعلنا نستشف دلالات معينة تفيدنا ولو بعض الفائدة .

إننا نرى بين هذه الأسماء ما هو متداول يكثر إطلاقه على الخيل .. فهنـا - مثلا - فرسان من أفراس زيد ، يحمـلان اسمـين من هذه الأسماء .. فهـذا الكميت .. من الأسماء الشائعة وهو يطلق للصفة ، فان الكُمْتة لون بين السواد والحمرة ، ويستوى فى الصفة المذكر والمؤنث .. وقالوا : إن الفرق بين الكميت والأشقر فى الخيل .. هو فى العرف والذنب .. فان كانا أحمرين .. فالفرس أشقر ، وان كانا أسودين فهو كميت .. وتعتقد العرب أن الكميت من الخيل هو أقواها

وأشدها حوافر[1] .

وأغلب الظن أن زيد الخير إنما اطلق اسم الكميت على فرسه هذا لأنه كان بين السواد والحمرة .. وبالتالي فهو فرس شديد قوي ، جدير بأن يقتنيه زيد الخيل ..

أما الورد فهو أيضا من الأسماء الشائعة التى تطلق للصفة أيضا ، ويراد بها اللون فهو ليس كميتا وليس أشقر .. ولكنه لون بين ذلك[2]

أما لاحق .. فان هذا الاسم يحمل دلالته بوضوح .. فقد يراد به السابق الذى يلحق غيره فيدركه .. وقد يراد به لاحق الأيطل أى الضامر .. فان الخيل اللاحقة هى الضامرة .. ولا شك أن زيد الخير كان معنيا كل العناية ، بتضمير خيله وبحسن تدريبها ..

ولاحق أيضا اسم فرس معروف من خيل العرب ، يعد جداً تماما كما يقال عن الأعوجي نسبة الى أعوج . هذا النابغة يصف أفراسا يمتدحها :

فيهم بَنـاتُ الأَعْوَجِـيِ ولاحِقٌ ورقـا مَراكِلها من المِضمار[3]

ومن هذا نعلم أن هذا الفرس كان ضامرا سَبَّاقا .. له من المؤهلات ما يلحقه بخيل زيد الخيل .

ومن أَفْراس زيد الخير : دوول .. والواو الأُولى هنا مسهلة عن الهمزة ، فهو دؤول . والدألان : مشية شبيهة بالختل ، ومشي المثقل ، أى أن الخطو فى هذه

(١) لسان العرب ، مادة كمت ، وفيه أن الكميت فرس المعجب بن سُفْيان .

(٢) لسان العرب ، مادة كمت وورد . وجاء فيه أن الورد فرس حمزة بن عبد المطلب .

(٣) لسان العرب ، مادة لحق ، وفيه ان لاحقا : اسم فرس لمعاوية بن أبى سفيان .

المشية متقارب ، كأن الفرس فيها مثقل بحمل[1]

ويبدو أن هذا الفرس من أفراس زيد الخيل كان فارها .. شديد الاحتمال .. جَلْدا ولهذا يقسم ألا يفارقه إذا كثر الضراب :

فأقسم لا يُفَارِقني دَؤُول أجُولُ به إذا كَثُرَ الضِرَابِ

أما الهَطَّال ، فيطلق هذا الاسم على الفرس إذا خرج عرقه شيئا بعد شئ ، والفرس يهطلها الركض أى يخرج عرقها ..[2]

ولعل زيد الخيل ، قد أطلق هذا الاسم على فرسه لكثرة تهطال عرقه من الركض .. أما كامل .. وهذا اسم سادس أفراسه المسماة .. فالدلالة هنا واضحة أيضا إذ يبدو أن هذا الفرس اجتمعت فيه الخصال الجيدة جميعها .. وزيد الخيل كان شديد الاعتزاز به ، فهو يقول :

مازلتُ أَرْمِيهم بِثُغْرَةِ كَامِلٍ[3]

وفى شعر زيد الخيل (الخير) ، تمدح وفخر بأصالة خيله ونسبتها إلى جدود أصْيلة ، مثل : أَعْوج .. الذى تُنْسب إليه الخيل الجياد .. وذلك مثل قوله :

---

(١) لسان العرب مادة : دأل . وفى بعض المصادر يأتى اسم ذؤول بالذال المعجمة كما فى (حِلية الفرسان) وهو فيما أعْتقد تصحيف ، وكذلك : جاء في سمط اللآلى ص ٥٩ ج ١ ، ولكن المحقق الأستاذ عبد العزيز الميمنى أشار الى ما جاء فى الأغاني وهو : دؤول ، الا أنه قال إنه لم ير أحدًا ضَبط الاسم ، ولا ذكره أصحاب كتب فى الخيل ولم ير فى المعاجم شيئا يفيد ذلك ، ولو رجع إلى مادة دأل فى اللسان لوجد ما ذكرته .

(٢) لسان العرب مادة هَطِل ، وفيه أن الهَيطال : فرس زيد الخيل واستشهد بقوله :

أقـرِّب مَرْبَـطَ الهَطَّـال انى أرَى حَرْبـا ستلقح عَنْ حَيَالِ

(٣) لسان العرب مادة كمل ، وفيه أن كاملاً اسم فرس سابق لبني امرئ القيس ، أو لامرئ القيس ، وكامل أيضا فرس زيد الخيل ، وفرس لزيد الفوارس الضبي ، وفرس للرفاد بن المنذر الضبي .

جَلَبْنَا الخَيلَ مِنْ أَجَأ وسَلْمَى نَخُبُّ نَزائِعاً خَبَبَ الذِئابِ
جَلَبْنَا كُلَّ طِرْفٍ أَعْوجِي وسَلْهَبَةٍ كَخَافِيَة العُقَابِ[1]

* * *

(١) ص ٨١٤ الكامل للمبرد و ص ٣٥ من الديوان ، وفى رواية أخرى الديوان : عَوابسا بدلا من (نزائعا) وأعوج : فرس قديم أو فرس كانت لغنى ـ وسلهبة بمعنى : طويلة .

أبنـاؤه

مكنف :

يُكنى زيد الخير : أبا مُكنِف .. فهل لمكنف هذا ذِكر فى تاريخه ؟

لأتحدث أولا عَن ضبط هَذا الاسم .. فهو بضم الميم وكسر النون : مكنف ، كما نقول : محسن . ومعناه : المعين[1]

وهو أكبر أبناء زيد الخير[2] ، ولذلك كُنى به .. وله من الأبناء ، عداه ؛ عروة ، وحَنْظلة ، وحُريث[3] ، ومُهَلهِل .

أَسْلم وحسن اسلامه ، وله صُحْبة[4] ، وقد شهد مع أخيه عروة قتال أهل

---

(١) تاج العروس ، مادة : كنف

(٢) المعارف لابن قتيبة : ترجمته

(٣) (جمهرة انساب العرب) لابن حزم ص ٤٠٣ ، وقد انفرد عن المراجع الأخرى بذكر حنظلة ، أما صاحب الأغانى فقال : إن أبناءه ثلاثة وكلهم يقول الشعر وهم : عروة ، وحريث ، ومهلهل . ولم يذكر معهم مكنفا ، وإن كان قد أورد خبراً من أخباره وفيه تكنيته بأبى (مكنف) ، وانظر ج ١٦ ص ٩٦ ، كما أن زيد الخير نفسه صرح باسم مكنف فى شعره كما سيأتى .

(٤) الاصابة : ترجمة : مكنف . ولكن صاحب الاستيعاب لم يترجم له

فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال لأبى عبيد البكرى . تحقيق الدكتور إحسان عباس ، والدكتور عبد المجيد عابدين طبع دار الأمانة بيروت (١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م . ص ٣٣٨ وص ٢٢ من الديوان .

الردة مع خالد بن الوليد ، واشترك فى قتال بني أسد حينما ارتـدوا مع طُليحـة الأسدي ، وفى ذلك أنشد أبياتا منها :

ضَلُّــوا .. وغرَّهــم طُلَيحــةُ بالمُنى   كَذِبَــاً .. وداعِــى رَبِّنــا لا يَكْذِبُ
لما رَأونــا بالفَضَــاءِ كَتَائِبَاً   نَدْعُــو إلى رَبِّ الرَسُــولِ ونَرْغَبُ
ولَّــوا فِرارَاً .. والرِمَــاحُ تَؤُزُهم   وبِــكُلِّ وَجْــهِ وجهــوا .. نترَقَبُ

فهو إذن صَحابى ، محُارب شُجاع كأبيه .. وهو أيضا شاعر .. ولم يصل إلينا من أشعاره ما يصح معه الحُكم على مدى شاعريته . وقد كان يَشْترك مع أبيه فى مواقف القتال فى بعض الحروب التى اشترك فيها أبوه . وقد وقع أسيرًا لبني أسد فأجاره لزيد أبو شريح بن أوفى بن الأغر النصري ، ومن اشتراكه فى المواقع شهوده مع أخيه حريث يوم اليحاميم أو قارات حوق .

ولأدع الوصف لصحابى جليل من طىء ، هو عدي بن حاتم .. (حاتم طىء المشهور) قال : « إننى لواقف يومَ اليَحَامِيم[1] والناسُ يَقْتتلون ، إذْ نظرت إلى زيد الخيل ، قد حَصرَ ابنيه مُكْنِفا وحُرَيثا فى شِعْبٍ لا مَنْفذَ له ، وهو يقول : أى بنّي .. أبقيا على قومكما فان اليوم يوم التفانى فان يكن هؤلاء أعماما ، فهؤلاء أَخوال .. فقلت : كأنك قد كرهت قتال أخوالك ؟ فاحمرت عيناه غضبا .. وتطاول

---

(١) كان بين جديلة والغوث من قبائل طىء فى موضع أقبلت قبائل الغوث كل قبيلة عليها رئيسها ومنهم زيد الخيل ، وحاتم ، وأقبلت جديلة مجتمعة على أوس بن خالد بن حارثة بن لأم . فالتقوا قارات حوق فاقتتلوا ، وانهزمت جديلة ، ولم يبق لها بقية للحرب بعد ذلك اليوم ، فدخلوا بلاد كلب فحالفوهم وأقاموا معهم . يراجع الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٣٨٩ طبعة دار الكتاب العربى ط ٢ سنة ١٣٨٧ هـ وقد ذكر أبياتا لزيد الخيل لم يذكرها جامع ديوانه وجاء فى المعجم الجغراق للأستاذ حمد الجاسر عنها فى المجلد الخاص بشمال المملكة القسم الأول حرف الحاء أنه يفهم من اخبار تلك الأيام ، قرب مواقعها من جبل أجا ، فى بلاد طىء وما يقربها .

إليَّ .. حتى نظرت إلى ما تحته من سرجه .. فضربت فرسي وتنحيت عَنْه .. واشتغل إليَّ عن ابنيه فخرجا كالصقرين .

ويهمنا أن نعرف من هذا النص أن مكنفا كان يوم اليحاميم ، فَتىً مُقَاتِلاً ، وكذلك أخوه (حريث) وأن أباهما كان يحول بينهما وبين القتال ، لئلا يتفانى الطرفان المتقاتلان مع ما بينهما من قرابة وصهر .. وأنه كان يود أن يجنبهما قطيعة الرحم ، ناظراً للمستقبل على أنهما حينما وجدا الفرصة متاحة باشتغال أبيهما بأمر عدي ، وما أثار من جِدال ، انطلقا كالصقرين .. ليشتركا فى الحرب[١]

وقد اشترك مكنف فى الفتوحات الاسلامية وهو الذى فتح الري . وأبو حمَّاد الراوية من سَبْيِه[٢] ولذلك أُعتد حمّاد مولاه[٣] . وقد ذكر زيد الخير ، ابنه مكنفا فى أكثر من موضع من شعره من ذلك يتمدح بفرس من أفراسه ، ويقول : انه يسوّيه فى المعاملة بمكنف ، خاصة فى ليالي الشتاء التى يشتد فيها البرد القارس ، وتشتد الحاجة إلى الغذاء الجيد ، والتدفئة الجيدة :

أُسَوِيه بِمكْنِف إذْ شَتَونا وأُؤثره على جُلِّ العِيَالِ[٤]

ويقول فى موضع آخر مُعْتزا ببطولته ، وبكنيته :

بنى عَامِرٍهلْ تعرفُونَ إذا غَدا أَبو مكْنِفٍ ، قَدْ شدَّ عَقْد الدَوَابِرِ ؟[٥]

---

(١) فى النص أيضا ما يدل على ما أسلفته عن صفات زيد الخير من رغبته فى صلة الرحم وذوى القربى ، عدا ما يدل عليه السياق من طول زيد الخير .. وشجاعته وهيبته ، حتى لقد أخاف عدي بن حاتم .

(٢) تاج العروس مادة كنف

(٣) أُسْد الغابة ترجمة مكنف بن زيد وابن قتيبة فى المعارف ص ٣٣٣

(٤) الديوان ص ٨٩

(٥) الديوان ص ٥٨

حريث :

لعله ثانى أبناء زيد الخير .. على أن هذا ليس مؤكدا على أية حال .. ولكننا نجد اسمه كثيرا ما يقترن مع اسم مكنف .. الابن الأكبر .. وذلك على النحو الذى مرّ بنا فى ترجمة الأخير ، فقد ورد اسمه معه فى أكثر من معركة .. مما يرجح تقاربهما فى السن .. ويسعنا أن نستفيد من وصف عدي بن حاتم ، رضى الله عنه .. الذى مر قريبًا ، حيث نعتهما (كالصقرين).

وحُريث كما هو معلوم ـ تصغير حَارث ، وقد يرد اسمه هكذا أحيانا ..[1] (اى حارث) . وكما كان حُريث رجل حَرْب ، فقد كان أيضا شاعرا .. وله أبيات متفرقة فى المصادر .

وحريث بن زيد أسلم وصحب الرسول صلى الله عليه وسلم وورد اسمه ضمن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم للملوك والزعماء ، فى الوفد الذى أرسله الى أهل ايلة (يحُنَّة بن روبة)[2] . وشهد حروب الردة مع أخيه مكنف[3] وله فيها أشعار . وقد وقعت منه حادثة على عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ..، فقد أَرسل الخليفة عمر رجلاً من قريش ، هو أبو سفيان الفهري ، يقرىء أهل البادية القرآن ، فَمن لم يقرأ شيئا عاقبه ، وكان من أمره أنه حينما نزل فى محلة بنى نبهان (قوم زيد الخير) ، طلب إلى أوس بن خالد بن زيد الطائى ، وهو ابن عم حريث ، أن يقرأ شيئا من القرآن فلم يقرأ ، فضربه أبو سفيان أسواطا مات منها

---

(١) الاصابة : ترجمة مكنف

(٢) يراجع طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٧٨ طبعة دار بيروت . وكذلك تاريخ ابن عساكر ١١١/٤ وجاء النص على اسمه فى كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم

(٣) الاصابة واسد الغابة . ترجمة مكنف بن زيد ولم يترجم له صاحب (الاستيعاب)

.. فأخذت أمه تندبه .. فأقبل حُريث مستفسرا عن الخبر .. فلما أعلمته ، شدّ على أبي سفيان الفِهْرِي فقتله : وقال في ذلك شعرا :

أَلاَّ بَكَّرَ النَاعِـي بأَوْسِ بن خَالِدِ ... أَخِي الشَتْوة الغَبْرَاء والزَمَنِ المَحْلِ [1]

فَلا تَجْزَعِـي يا أم أَوْسٍ فإِنَهُ ... يُلاقِـي المَنَـايا كُلُّ حَافٍ وذى نَعْلِ

فان تَقْتُلـوا بالغَـدْرِ أَوْسـاً فإِننى ... قَتَلـتُ أَبـا سُفْيانَ ، مُلْتَـزِمَ الرَّحْلِ

ولولا الأَسى ما عِشْتُ فى النَّاسِ بَعْدَه ... ولَـكِن إِذا ما شِئْت جَاوَبنِـى مِثْلى

أَصَبْنَـا بِه مِنّ خِـيرَةِ القَـوْمِ سَبْعةً ... كراماً ولم نَأْكُل بِه حشفَ النَخْلِ [2]

وقَدْ خشي حُريث من عقوبة الخليفة الصارم عمر بن الخطاب ، فهرب ، والتحق بأرض الروم .. ومات هناك .. ويبدو أنه قد ارتد ، فان ابن حزم ، حينما أورد قصته موجزة فى (جمهرة الأنساب) أَرْدَفها بقوله (لعنه الله)[3] ..

وقد ترجم ابن حجر فى الاصابة لحريث فى القسم الأول (أى فيمن وردت صُحْبته للرسول بطريق الرواية عنه أو غيره) ، فذكر عن الواقدي أنه كان رسول النبي صلى الله عليه وسلم إلى نجبة من زربة [4] وأهل أيْلة ، كما ذكر عن

---

(١) أى المعين الكريم فى ليالى الشتاء القاسية ، وفى زمن المحل .. ومثل هذه الظروف محك الرجل الكريم .

(٢) الأبيات مجموعة من الإصابة ـ ترجمة أوس بن خالد ، ومن الأغانى ترجمة زيد الخيل ويدل النص فى البيت الأخير أن حريثاً قتل سبعة لا شخصاً واحداً ، كما أن الأبيات وردت فى (الشعر والشعراء) فى ترجمة زيد الخيل مع شئ من الاختلاف .

ومنها هذا البيت الأخير فروايته هكذا

قتلنـا بقتلانـا من القـوم عُصْبَة ... كرامـا ، ولـم نأكل بهـم خشف النَخْل

وهذا يدل على أن هناك معركة .. وقع فيها صرعى من الجانبين .

(٣) ص : ٤٠٣/٤٠٤ .

(٤) فى معجم البدان : (نجبة) بالفتح ثم السكون وباء موحّدة ، قرية من قرى البحرين لبنى عامر بن عبد القيس .

المرزباني أنه قال عنه ، انه مخضرم ، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وشهد قتال أهل الردة وهو القائل :

أنــا حُرَيثٌ .. وابــنُ زَيْدِ الخَيْل ولَسْــتُ بالنِّـكْسِ ولا الزُمَّيْلِ

وان الواقدي أنشد له أشعارا فى الردة منها :

أَلاَّ أَبْلِـغْ بَنــي أَسَـدٍ جَمِيعَاً وهٰــذَا الحَــىّ مِنْ غَطَفَــانَ قَبْلِى

بِأَنَّ طُلَيْحَــةَ الــكَذَّابَ أَضْحَى عَدُوَّ اللـــهِ حَادَ عَن السبيلِ

ثم أشار ابن حجر إلى القصة التى أسلفت عَنْ قتله الرجل المقرئ ، التى أوردها فى ترجمة أوس بن خالد الطائى ، وختم كلامه عنه قائلا : وقيل : إن عبيد الله بن الحُر الجعفي قتله مبارزة فى حرب بينهما من قبل مصعب بن الزبير[١]

وإذا صح هذا القول ، فان هذا ينفى ردته عن الإسلام .

عـروة :

ويتردد فى تراجم زيد الخير ، ذكر اسم ابنه (عروة) وهو أيضا من الأبطال الشجعان ، شاعر أُثِرَ عَنْه بعض الشعر .. بل ان صَاحب كتاب (الأغاني) يقول إن له أشعاراً كثيرة[٢] وربما كان صحابيا[٣] وقد شهـد بعض حروب أبيه فى الجاهلية وقد سألته ابنته ليلى ، فيما يُرْوَى عن حَمَّاد الراوية (وهو مولاهم) قالت لأبيها :

ـ أرأيت قول أبيك ؟ :

---

(١) الاصابة : ترجمة حريث بن زيد .

(٢) الاغانى ترجمة زيد الخير

(٣) يقول صاحب الاصابة فى ترجمته : (الظاهر أنه اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فهو لم يجزم)

بَنِـي عَامِـرٍ هَلْ تَعرفُـونَ إذا غَدَا أَبـو مُكْنِفٍ قَدْ شَدَّ عَقْـدَ الدَوَابِرِ

بَجيشٍ تَضِـلُ البُلْـقُ فى حُجُرَاتِه تَرى الأُكْمَ مِنْـه سُجَّـدًا للحَوَافِرِ

وجَمْـعٍ كَمِثْـلِ اللَيلِ مُرتجِسِ الوَغى كَثـيرٍ تَوَالَيه سَرِيعِ البَـوَادِرِ ..

أَبـتْ عَادةٌ للـوَرْدِ أن يَكْرَهَ القنا وحَاجَـةُ نفسى فى نُمَـير و عَامِرِ

فقلت لأبى : أحضرت هذه الوقعة ؟ قال : نعم . قلت : كم كانت خيلكم ؟ قال : ثلاثة أفراس أحدها فرسه . قالت : ابن كم كنت ؟ قال : غلاما[١]

وكان عروة من أبطال الفتوحات الاسلامية وقد شَهد وقعة القادسية ، وحَسُن فيها بلاؤه ، وقال فيها يذكر موقفه فى هذه الوقعة وما قبلها من فتوحات فارس :

بَرزْتُ لأَهْـلِ القَـادِسِية مُعْلِما ومـا كُلُّ مَنْ يَغْشَى الكَرِيهَـةَ يُعْلَمُ

ويومٍ بأَكْنَـافِ النُخَيلـةِ قَبْلَها شَهِـدتُ فَلَـمْ أَبْـرَحْ أُدَمّـى وأُكْلَمُ[٢]

وأقعصـت مِنْهـم فَارِسـاً بَعـدَ فَارِسٍ ومَا كُلُّ مَنْ يلقـى الفـوارسَ يَسْلَمُ[٣]

وَنجّانِـي اللـهُ الأَجَـلّ وجِيرَتِى وسَيْفٌ لأطْـرَافِ المَرازبِ مُخْذَمُ[٤]

---

(١) الاصابة ترجمة عروة والكامل للمبرد (باب تكاذب الأعراب) فقد ساق الخبر فى باب التكاذب وهو هنا للمبالغة ، وسياقه للتباهى والفخر والمعروف أن زيد الخيل كثير الخيل .. كما مر من ترجمته . وقد ورد فى البيت الأول فى (الكامل) (عقد الدوابر) بالباء لا بالياء أو الهمزة وقال عنها : إنها دوابر المدرع فان الفارس إذا حمى فعل ذلك ، قال سيد المرصفى فى شرحه (دوابر الدرع) مآخيرها أى شد دوابر البيضة لئلا تسقط إذا ركض . وفسرّ المبرد (تضل البلق فى حجراته) انه بكثرته لا يرى به الأبلق ، والأبلق مشهور المنظر لاختلاف لونيه (وهما السواد والبياض) ، وحجراته : نواحيه . وقوله : (ترى الأكم منه سجدًا للحوافر) انه لكثرة الجيش تطحن الأكم حتى تلصقها بالأرض ، وقوله : (كمثل الليل) .. اى كثرة تكاد يسد سوادها الافق . والمرتجس : الذى يسمع صوته ولا يبين كلامه ، والتوالى : اللواحق .

(٢) ادمى : أى أضرب حتى يسيل الدم . وأكلم : أجرح

(٣) أقعصت : أى طعنت بالرمح طعنا سريعا .

(٤) المخذم : السيف القاطع . والمقصود بالمرازب : الفرس .. فالمرزبان : هو رئيس الفرس او الفارس الشجاع المقدم على القوم .

وأيقنتُ يومَ الديْلَميينِ أننى متى يَنْصرفْ وَجْهى عَنِ القَوْمِ يُهْزَمُوا

فَمَا رُمْتُ حَتى مَزقُوا بِرِمَاحِهم ثِيَابِى وحَتى بَلَّ اخمصِي الدَمُ

مُحَافَظَةً .. إنى امْرؤٌ ذو حَفِيظَةٍ اذا لم أجِدْ مُستاخِراً أتَقَدمُ[1]

وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، موقعة صِفين وعاش إلى عهد معاوية ويقول أبو الفرج فى (الاغاني) . إنه أراده على البراءة من علي ، فامتنع عليه وقال :

يُحَاوِلُنى مُعَاوِيَة بن حَرْبٍ وليسَ إلى الذى يَهْوَى سَبيلُ

عَلى جَحْدِي أَبا حَسَنٍ عَلِياً وَحظى مِنْ أبي حَسَنٍ جَلِيلُ

وَيترددُ ذِكْرُ عُروة بن زيد الخيل ، فى أكثر من موطن فى الفتوحات الاسلامية فى بلادِ فارس ..

من ذلك أنه قاتل يوم قس الناطف (موقعة الجسر) قتالا شديداً عدل فيه بقتال جماعة[2] وكتب قائد الجيش (المثنى بن حارثة) بذلك إلى الخليفة عمر ابن الخطاب ، وجعل رسوله إليه عروة بن زيد فكان أن حمل تفاصيل الموقعة إلى الخليفة .

وبعدها .. كتب عمر رضى الله عنه إلى عامله بالكوفة وهو (عمار بن ياسر) بعد شهرين من موقعة (نهاوند) يأمره بأن يبعث عروة بن زيد الخيل الطائى إلى

---

(١) النص من الاغانى ترجمة زيد الخيل ، ومن الاصابة ترجمته وفيها ما يدل على نقله عن المرزباني .

(٢) البلاذرى (فتوح البلدان) تحقيق د . صلاح الدين المنجد ص ٣٠٨ وجاء فى تاريخ خليفة بن الخياط تحقيق : اكرم ضياء العمرى الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٧ م مطبعة الآداب فى النجف فى احداث سنة ثلاث عشرة ج ١ ص ٩٢ ، ان عروة ممن حمى الناس يوم قس الناطف (الجسر) اما عن اسم المخبر الذى ارسله المثنى بن حارثة بخبر الموقعة الى عمر بن الخطاب بالمدينة فهو : عند الطبرى عبد الله بن زيد بن الحصين الخطمى ، يراجع الواقعة لديه .

(الري) ودستبى فى ثمانية آلاف ، ففعل . فسار عروة إلى ما هناك فجمعت له الديلم ، وأمدهم أهل (الري) فقاتلوه ، فأظهره الله عليهم[1] فقتلهم واجتاحهم ثم خلف حنظلة بن زيد أخاه وقدم على عمار ، فسأله أن يوجهه إلى عمر ، وذلك أنه كان القادم عليه بخبر يوم الجسر .. فأحب أن يأتيه هذه المرة بما يسره .. فلما رآه عمر قال : (إنا لله وانا إليه راجعون) كأنه يتوقع خبراً سيئا فقال عروة : بل أحْمَد الله .. فقد نصرنا وأظهرنا ، وحدثه بحديث النصر . فقال : هلاّ أَقمت وأرسلت ؟ قال عروة : قد استخلفت اخي .. واحببت ان آتيك بنفسي .. فسماه عمر .. البشير ..[2] .

ومن سياق هذه القصة نعلم أن عمر بن الخطاب ، خشي حينما أبصر عروة ، أن يكون قد حمل إليه نبأً سيئا ، كالذى فعل فى خبر هزيمة يوم الجسر فسارع عروة فطمأنه .. بل لقد تعمد عروة ، أن يحمل البشرى هو ، ليزيل بنفسه من نفس عمر أثر الخبر السيء الذى حمله من قبل !

ونجد أيضا فى فتوح العراق ، أنه حينما بعثَ عمر رضي الله عنه أبا عبيد ابن مسعود الثقفي ، دخل أبو عبيد (باروسما)[3] فصالحه ابن الأندر عن كل رأس أربعة دراهم وبعث أبو عبيد ، المثنى بن حارثة إلى زند ورد ، فحاربوه فقتل

---

(١) تختلف روايات المصادر فى موقعة الرى فبعضها تجعل بطلها عروة ، وبعضها تجعله مكنفا أخاه ، وبعضها تجعله مهلهلا .. أخاها كما سيأتى ، ويترجح لدى أنه عروة لما مر من شعره عن يوم الديلميين .

(٢) البلاذرى : ص ٣٨٩ وفى هذا مصداق لاشارته فى شعره إلى يوم الديلميين .. فى الطبري ص ١٤٨ ج ٤ (ذكر فتح همذان) أن عروة حينما قدم بكتاب البشارة على عمر ، قال يسأله : أبشير ؟ فقال : بل عروة ، فلما ثنّى عليه . أبشير ؟ فطن فقال : بشير . قال : رسول نعيم ؟ قال : رسول نعيم . قال : ما الخبر ؟ قال : البشرى ، بالفتح والنصر ، فأخبره الخبر ، فحمد الله ، وأمر بالكتاب فقرئ على الناس . فحمدوا الله .

(٣) باروسما : الواو والسين ساكنتان : ناحيتان من سواد بغداد ، يقال لهما : باروسما العليا ، وباروسما السفلى ، من كورة الأستان الأوسط . معجم البلدان .

وسبى ، وبعث عاصم بن عمر الأَسيدي إلى نهر جوبر ، وعروة بن زيد الخيل الى الزوابي ، فصالحوه على صلح باروسما ..[1] .

ونجد أيضا من أَخباره فى موقعة (البويب)[2] فى فارس ، أن رجالا من شجعان المسلمين استبسلوا فى هذه الموقعة ، استبسالا كبيرا ، حتى لقد أحصى مائة مقاتل من العرب ، قتل كل واحد منهم عشرة فى المعركة ، حتى لقد سمى يوم (البويب) يوم الاعشار ، وكان عروة بن الزبير من أَصحاب التسعة ، أى انه قتل يومها تسعة أشخاص [3]

ونعلم من سياق ترجمة عروة ، أن له ابنة هى ليلى التى سبق ذكرها ، كما نعلم من نص آخر أورده المبرد فى الكامل أن من أحفاده أيضا من سمى زيدا ، قال المُبَرِّد : « قال رجل من طيئ ، وكان رجل منهم ، يقال له زيد ، من ولد عروة ابن زيد الخيل قتل رجلا من بني أسد يقال له زيد ثم أقيد بعد :

عَلاَ زَيْدُنا ،يَومَ الحمى ،رَأْسَ زيْدَكم ... بأَبيضَ مَصْقُول القَرارِ يَمَانِ

فان تَقْتُلوا زَيْداً بزيدٍ فإنمَا ... أَقادَكُم السُلْطَانُ بَعْدَ زَمَانِ [4]

حنظلة :

وكما مر بنا ، فان اسم حنظلة بن زيد يرد ، فى بعض أَخبار اخيه عروة فى فتح

---

(١) تاريخ خليفة بن الخياط . تحقيق اكرم ضياء العمرى الطبعة الاولى ١٣٨٦ هـ الموافق ١٩٦٧ م مطبعة الآداب فى النجف فى أحداث سنة ثلاث عشرة ج ١ ص ٩٢ .

(٢) يقول صاحب معجم البلدان فى تعريفه : (نهر كان بالعراق موضع الكوفة)

(٣) الطبرى ـ موقعة البويب ـ احداث سنة ١٣ هـ ومثل ذلك فى (الكامل) لابن الاثير .

(٤) الكامل للمبرد ص ١٨٤

فارس وأن عروة يثق به ويعتمد عليه فيستخلفه كلما غاب عن المراكز القيادية التى كان يتولاها .. فهو إذن قد اشترك فى هذه الفتوحات ، ولكننا لا نجد أخبارا .. مفصلة عنه .. بل إن كتب التراجم والأنساب ، لا تكاد تذكر اسمه .. ولا يكاد يفطن أحد من مؤلفيها إلى ورود اسمه فى الفتوحات ، عدا (ابن حزم) فى كتابه (جمهرة الأنساب) الذى فطن إلى هذه الحقيقة فسجلها[1] .

ويبدو أن حنظلة كان أصغر أبناء زيد الخير . على أننا نجد ذكر حنظلة ينفرد أحيانا عن أخبار عروة ، فى فتح (أبهر)[2] ببلاد فارس ، حينما ولى المغيرة ابن شعبة ، عامل عمر بن الخطاب على الكوفة بعد عمار بن ياسر ، البراء بن عازب قُزْوِين ، وأمره أن يسير إليها ، فان فتحها الله على يده غزا الديلم منها ، فسار البراء ومعه حنظلة بن زيد الخيل حتى أتى أبهر ، فقام على حصنها فقاتلوه ثم طلبوا الأمان فآمنهم[3] .

مهلهل :

يذكر صاحب كتاب الأغاني اسم مهلهل ضمن أبناء زيد الخير فى أخباره .. ولكنه لا يذكر شيئا من التفاصيل عنه .. إلا أنه يورد اسمه أول الأبناء حتى لنحسبه أكبرهم ولكنه لا يذكر « مكنفا » الذى يكنى به زيد .. بالرغم من أن زيدا نفسه ينص فى شعره على تكنيته به .. كما تدل نصوصه على اعتزازه بهذا الابن . وقد جرت الاشارة إلى ذلك .

---

(١) ص ٤٠٣و٤٠٤

(٢) يقول ياقوت فى معجم الأُدباء : وأَبْهَرُ : مدينة مشهورة بين قُزْوين وزنجل وهمذان من نواحى الجبل ، والعجم يسمونها أوهر ، وقال بعض العجم : معنى ابهر : مركب من أب ، وهو الماء ، وهر ، وهو الرحا ، كانه ماء الرحا ، ثم اورد قصة فتحها واشتراك حنظلة بن زيد الخير فيها مع البراء بن عازب .

(٣) ص ٣٩٤ من فتوح البلدان للبلاذرى ـ تحقيق صلاح المنجد .

وإذا ذهبنا نستقرئ المصادر الأخرى التماسا لأخبار « مهلهل » لا نجد شيئا يغنينا .. اللهم إلا ما يرد فى حروب الردة ، وانحياز بعض القبائل فى نجد إلى طليحة بن خويلد « الذى ادعى النبوة » .. فانا نجد أن مهلهل بن زيد ، بعد أن أعلن طليحة نفسه نبيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل إليه بعد استفحال أمره .. عقب موت رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأن معى حد الغوث (بطن من طئ) فان دهمكم أمر فنحن بالأكناف بحيال فيد[1]

ومعنى ذلك أن مهلهل بن زيد كان على رأس قومه ، إليه أمرهم .. وأنه كان مع المرتدين ، ولكن مما يسترعى النظر فى هذا النص ، أننا لا نجد ما يدل صراحة على أن المعنى هو مهلهل بن زيد الخير .. اللهم إلا الظن بأنه هو بقرينتين انه رأس الغوث ، وهم قوم زيد .. وأبوه كان رأسهم .. وانه كان يُعَسْكر فى فَيْد فى ديار أبيه ..

ثم نجد أيضا ، ذكر مهلهل بن زيد الطائى ، فى فتح همذان بفارس .. والاسم هنا لا يخصص .. إلا أن يقول (الطائى) .. فلا نعرف أهو ابن زيد الخير أو غيره[2] فاذا صح أنه ابن زيد الخير ، فاننا نستبشر هنا ، بأنه أسلم وقاتل فى صفوف المسلمين ..

ثم لا نجد ما نضيفه بعد ذلك .. إلى هذين الخبرين .. على ما فيهما من إبهْام .. ويجدر بنا أن نتذكر أن مهلهلاً هو أيضا اسم والد زيد الخير وأن من عادة الناس أن يطلقوا أسماء آبائهم على أبنائهم .

---

(١) تاريخ الطبرى ـ أخبار سنة ١١ ج ٢ ص ٤٨٦ طبعة مصطفى محمد ١٣٥٧ هـ /١٩٣٩ م

(٢) تاريخ الطبرى : فتح همذان . وقد ضبط ياقوت همذان بالتحريك والذال معجمة ، واطال فى الكلام عليها فى معجم البلدان ، واورد ما يدل على أنه شاهدها وأثنى عليها كثيرا .

وما دمنا فى سياق الحديث عن أولاد زيد الخير فانه ينبغى أن أذكر أنه ورد فى مقدمة ديوان زيد ، للباحث العراقي الكبير الأستاذ الدكتور (نورى حمودى القيسي) ما نصه (ص ٩) :

« ويشير ابن منظور فى مادة (وكل) إلى ابنة له (أى لزيد) تدعى منفوسة ونسب إليها رجزا ».

وقد رجعت إلى النص فى لسان العرب لابن منظور فوجدته هكذا : « قالت امرأة :

ولا تَكُونَـــنَّ كهِلَّوْفٍ وَكلْ

والوكل : الذى يكل أمره إلى غيره ، قال ابن بري : هذه المرأة هى منفوسة بنت زيد الخيل ، قال والرجز ، إنما هو لزوجها قيس بن عاصم ، وهو :

أَشْبِه أَبـا أُمِـكَ أَوْ أَشبـه عَمَلْ
ولا تَكُونَـــنَّ كَهِلَّـوْفٍ وَكلْ
يُصْبِـحُ فى مَضجَعِــه قَدْ انْجَدلْ
وأرقَ إلى الخَيْرَاتِ زَنْأً فى الجَبَلْ

أما الذى قالته منفوسـة فقـد قالته فى ولدها حكيم :

اشْبِـه أَخـــي أو أَشْبِهـــن أَبَاكا
أَمـا أَبـــي فَلـنْ تَنَـالَ ذَاكَا
تَقْصُــرُ أن تَنَالــه يَدَاكَا

وهو مطابق إلى ما ذهب إليه الأستاذ القيسي ، غير أن أبا الفرج فى ترجمة قيس

ابن عاصم ، يقول إن زوجته هى منفوسة بنت زيد الفوارس الضبي ، وهى التى يقول فيها :

يا ابنــة عَبْــدِ اللــهِ وابنــة مَالِك ويا ابنة ذِى البُرْدَينِ والفَـرسِ الوَرْدِ
إذا ما أصبتِ الـزَادَ فالتمِسى له أَكِيلاً ، فإنــى لسَــت آكلُــهُ وَحْدِى
قَصياً كَرِيمــاً ، أو قَرِيباً ، فإننى أَخَافُ مَذَمَـاتِ الأَحـادِيثِ مِنْ بَعْدى
وإنــى لعَبْــدُ الضَيْفِ مادَامَ ثَاوِياً ومَـا مِنْ خِلالى غَيْرُهـا شِيمـةُ العَبْدِ

وقد أضافها إلى عمها وجدها الأكبرين لعزتها وشرفها بين قبائل العرب ، فزيد الفوارس هو ابن حصين بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن بجالة (بفتح الباء والجيم) ابن ذهل بن مالك اخى عبد الله بن بكر بن سعد بن حنين وذو البردين جد منفوسة من قبل أمها ، وهو عامر بن احيمر بن بهدلة من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، لقب بذلك لما رواه كثير من أهل الأدب من أن النعمان أخرج بردي مُحَرِّق ، وقد اجتمعت وفود العرب وقال : ليقم أعز العرب فليلبسهما ، فقام عامر فاتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ولم ينازعه منهم أحد .

ويعلم من كل ذلك أن منفوسة هى ابنة زيد الفوارس الضبي وليست ابنة لزيد الخيل[1].

(١) يراجع الأغانى ترجمة قيس بن عاصم . ورغبة الآمل فى شرح الكامل لسيد بن علي المرصفي ج ٥ ص ١٤٤ والمقتضب للمُبرِّد!!

وقائع

شهد زيد الخيل فى الجاهلية ، وقائع متعددة ، أذكر منها ما أورده أبو الفرج الأصفهاني فى كتابه (الأغاني) ..

وقد يبدو ، للوهلة الاولى ؛ أن ذكر هذه الوقائع تحصيل حاصل ، أو أنه أمر قليل الجدوى ، أو ربما كان معدومها .. وأنه يكفى أن يشار إليها ، أو أن تعطى عنها فكرة موجزة ، وأن نستخلص منها فى كلمات ، ما تدل عليه من شجاعة زيد ، أو حسن تصرفه أو حلمه ..

ولقد ملت إلى هذا الرأى - بادئ الأمر - ثم انصرفت عنه ، إلى اعطاء تصور كامل عن تلك الوقائع ، ما دمت بصدد أن أرسم صورة واضحة لهذا البطل .. فان إيراد تفصيل تلك الوقائع يعين على جلاء الصورة وتوضيحها ، بل توضيح العصر الذى عاشه ، والبيئة التى عاصرها والرجال الذين اشترك معهم فى حرب أو سلم .

على أننى ، مع ذلك جنبتُ القارئ بعض التفاصيل التى اعتقدتُ أن لا فائدة ترجى من وراء إيرادها ..

وكما يلاحظ القارئ ، فان هذه الوقائع إنما حدثت كلها فى العهد الجاهلى . ذلك لأن زيد الخيل ، لم يعش بعد إسلامه إلا أسابيع قلائل ، إذا استبعدنا الرواية التى تقول : إنه عاش إلى عهد أبي بكر أو عمر .. وإنه قاتل مجاهدًا فى زمنه .

وليس مِنْ سَبيل إلى ترتيب وقائع زيد الخيل ترتيبا زمنيا .. ولكنني اذكرها غالبا بحسب ذكر أبى الفرج الأصفهاني لها .. الذى لم يفته أن يروى ، أنه كان ملحا على بني أسد بغاراته ، ثم على بني الصيداء منهم ، وفيهم يقول :

ضَجَّتْ بَنُو الصَيداء مِنْ حَرْبِنَا والحَرْبُ مَنْ يَحْلُلْ بها يَضْجَرِ
بِتْنَا نُزجِّي نَحْوَهم ضُمَرًا مَعْرُوفَةَ الأَنْسَابِ من مِنْسَرِ
حتى صَبَحْنَاهُم بها غُدْوَةً نُقتّلهم قسراً عَلَى ضُمَّرِ
يَدْعُونَ بالوَيْلِ ، وقَدْ مَسَّهم مِنا غَدَاةَ الشِعْبِ ذى الهَيْشَرِ[١]
ضَرْبٌ يُزِيلُ الهَامَ ذُوُ مِصْدَقٍ يَعْلو عَلَى البَيْضَةِ والمغفر

ويقص أبو الفرج قصة الشيباني ، الذى سرق إبلا كانت فى عناية زيد ، فيذكر غارته على بني نمير فى الملح ، وأنه أصاب منهم مائة من الإبل وهو اليوم الذى يقول فيه :

ويوم الملح ملح بني نُمير أصابتكم بأظفارٍ ونَابِ[٢]

مع بني عامر :

وتكثر أيضا وقائع زيد الخير مع بني عامر ، كما قال :

بني عامر ، هل تعرفون إذا غدا أَبو مُكْنِف قَدْ شَدَّ عَقْد الدوابرِ

فقد روى أبو الفرج الأصفهاني فى (الأغاني) أن زيد الخيل جمع طيئا ، وأخلاطا لهم ، وجموعا من شُذَّاذ العرب ، فغزا بهم بني عامر ، ومن جاورهم من قبائل العرب ، من قيس ، فصبحهم من طلوع الشمس ، فنذروا به (أي علموا) وكانت قبيلة غني بن أعصر ، وإخوتهم الحرث(وهم الطفاوة) ،أول من

---

(١) الهيشر ، كما فسره أبو الفرج : شجر كثير الشوك تأكله الابل . (النص فى الاغانى ترجمة زيد الخيل) .

(٢) الأغانى : ترجمة زيد الخير

تصدوا له فاقتتلوا قتالا شديدا ، وانهزمت بنو عامر ، واستحرّ القتل بغني ، وفيهم يومئذ فرسان وشعراء ، فملأت طيئ أيديها من غنائم تميم وأسر زيد الخيل يومئذ الحطيئة الشاعر فجزّ ناصيته وأطلقه ..

ولكن غنيا تجمعت بعد ذلك ، مع ألف من بني عامر ، فغزوا طيئا فى أرضهم فغنموا وقتلوا وأدركوا ثأرهم منهم .

وكان زيد الخيل قد قال فى وقعته لبني عامر ، قصيدته التى يقول فيها :

وخَيبــة مَنْ تَجيب على غنى   وَباهلــة بن أعْصر والـكلاب

فلما أدركوا ثأرهم ، أجابه طفيل الغنوي :

سَمْوْنَــا بالجِيادِ على أَعَادٍ   مغَــادِرة بجــد واعتصاب

نَؤمهــم على رُعْــبٍ وشَحْطٍ   بِقُوْدٍ يطّلعن من النقاب[1]

ويذكر أبو الفرج أيضا معركة أخرى ، مع بني عامر ، وسببها أن رجلا من طيئ يقال له ذؤاب بن عبد الله ، خرج إلى صهر له من هوازن ، وكان شريفا ذا رياسة فى حيّه فأصيب عند خروجه ، وبلغ النبأ زيداً ، فركب فى جماعته بني نبهان ، ومعه من تبعه من بني الغوث ، وأغار على بني عامر ، وجعل كلما أخذ أسيرا سأله :

ألك علم بالطائي المقتول ؟ فان قال : نعم .. قتله ، وإن قال : لا . خلىَّ سبيله ومنّ عليه .. فلما رجع زيد إلى قومه قالوا : ما صنعت ؟

أجاب : ما أصبت بثأر ذؤاب .. ولا يبوء به إلا عامر بن مالك (ملاعب الأسنة) ، فأما ابن الطفيل (واسمه عامر ايضا) فلا يبوء به .. وقال :

لا أرى أن بالقَتِيل قَتِيلاً   عامــرياً يفــى بقَتْــل ذُؤَابِ

---

(١) الأغانى ج ١٦ ترجمة زيد الخيل

وعَرَّضَ فى قصيدته هذه بعامر بن الطفيل ، الذى غضب ، وأجابه بقصيدة يقول فيها :

قُلْ لِزيدٍ قَدْ كُنْتَ تُؤْثَرُ بالحلمِ   إذا سَفِهَتْ حُلومُ الرِجَالِ[1]

ويروى أبو الفرج أيضا ، لقاءً ثالثاً لزيد الخيل مع بني عامر .. ومواجهته مع ابن الطفيل . يقول أبو الفرج :

« خرج زيد الخيل يطلب نعما له من بني بدر ، وأغار عامر بن الطفيل ، على بني فزارة فأخذ امرأة يقال لها هِنْد ، واستاق نعما لهم ، فقالت بنو بدر لزيد : ما كنا قط إلى نعمك أحْوج منا اليوم . فتبعه زيد الخيل ، وقد مضى .. وعامر يقول : يا هند ما ظنك بالقوم ؟ فقالت : ظني بهم أنهم سيطلبونك وليسوا نياماً عنك[2] فأدركه زيد الخيل ، فنظر إلى عامر ، فأنكره لعظمه وجماله .. وغشيه زيد ، فبرز له عامر فقال (أى زيد الخيل) : يا عامر خلٍّ سبيل الظعينة والنعم .. فقال عامر : من أنت ؟ قال : فزاري أنا .. قال عامر : والله ما أنت من الفلح أفواها .. قال زيد : خلّ عنها . قال : لا .. أو تخبرنى من أنت ؟ قال : أسدي .. قال : لا والله ما انت من المتكورين على ظهور الخيل . قال : خلّ سبيلها . قال : لا والله أو تخبرنى .. فاصدقنى . قال : أنا زيد الخيل . قال : صدقت .. فما تريد من قتالى ؟ فوالله لئن قتلتنى لتطلبنَّك بنو عامر ، ولتذهبن فزارة بالذكر . فقال له زيد : خلّ عنها . قال تخلى عنى وأدعك والظعينة والنعم . قال : فاستأسر (اى تقبل الأسر) قال : أفعل .. فجز ناصيته وأخذ رمحه وأخذ هندًا والنعم ، فردها إلى بني بدر ، وقال فى ذلك شعرا منه :

إنا لَنُكْثِرُ فى قَيسٍ وقَائعَنا   وفى تَمِيمٍ ، وهذا الحَى مِنْ أَسدِ

---

(١) الأغانى ج ١٦ ترجمة زيد الخيل

(٢) تفصيل الخبر فى الأغانى ج ١٦ ترجمة زيد الخيل

« .. فانطلق عامر إلى قومه مجزوزا .. وأخبرهم الخبر .. فغضبوا لذلك وقالوا : لا ترأسنا أبدا .. وتجهزوا ليغيروا على طيء . ورأسوا عليهم علقمة بن عُلاثة ، وخرجوا ومعهم الحُطيئة ، وكعب بن زهير (الشاعران) ، فجمع زيد قومه ، فلقيهم بالمضيق ، فقاتلهم وأسر الحطيئة ، وكعب بن زُهير وقوما منهم ، فحبسهم ، فلما طال عليهم الأَسر قالوا : يا زيد .. فادِنا . قال : الأمر إلى عامر بن الطفيل (يريد أن يرد إليه مكانته فى قومه ولا يعترف برئاسة غيره) فأبوا ذلك عليه ، فوهبهم لعامر إلا الحطيئة وكعبا ، فأعطاه كعب فرسه الكميت ، وشكا الحطيئة الحاجة فمنّ عليه وقال من قصيدة :

أقــول لعَبْــدى جَرْول إذ اسرته ... أثبنــى ولا يغــررك أنــك شَاعر

وقال فيه الحطيئة من أبيات :

إذا لم يَكُن مَالى بآتٍ فإنه ... سَيأتــى ثَنائِـى زيدًا .. ابـن مهلهل

وقال فيه أيضا من أبيات :

وقعــتَ بِعَبْس ٍ ثُمَّ أنْعَمــتَ فِيهمُ ... ومِــنْ آل بدرٍ قَدْ أَصَبْــتَ الأَخايِرا

مع تغلب :

ومع أننى أميل إلى الخبر ، شبه المتواتر ، عَنْ وفاة زيد الخير ، عند قفوله من المدينة عام وفادته . إلا أن ذلك لا يمنع من إيراد قصة حربه مع تغلب ، بتكليف من الرسول صلى الله عليه وسلم كخبر يروى فى قصة حياة زيد ..

يقول الخبر : إن رئيس تغلب ، وهو الجرار أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنه أبى الاسلام وامتنع عنه ، فيقال :[1] إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) الخبر فى الاغانى بهذه الصيغة . ج ١٦ ترجمة زيد الخيل .

بعث اليه زيد الخيل وأمره بقتاله ، فمضى إليه زيد ، فقاتله لما أبى الاسلام وقال في ذلك :

صَبَحتْ حَيَّ بنى الجرار دَاهيةٌ ... ما إن لتَغْلِبَ بَعْدَ اليوم جَرّارُ
نَحْوِى النِهابَ ، ونحوى كلّ جاريةٍ ... كأن نُقْبَتها فى الخَدِّ دينار

ويلاحظ أن هذا الشعر يعبر عن الغنيمة بقوله (النهاب) وهو تعبير غير إسلامى وإذا ترجحت وفاة زيد الخيل ، عند قفوله من المدينة فالخبر غير صحيح ، ويحمل الشعر على أنه قيل فى الجاهلية .

مع بني مُرة :

وفى أخبار زيد الخير ، أنه ابلغه ما كان من الحارث بن ظالم ، وعمرو ابن الاطنابة الخزرجي وهجائه إياه ، وأنه غضب لذلك ، فأغار على بني مرة ابن غطفان ، فأسر الحارث بن ظالم وامرأته فى غارته تلك ، ثم منّ عليهما فأطلقهما ، وقال فى ذلك أبياتا ، أورد منها هنا ، ما ينفع للدلالة على الاعلام ، والقبائل التى اشتبك معها فى قتال :

ألاَ هَل أتى (غَوْثاً) و (رَومَان) أننا ... صَبَحنا (بَنى ذُبْيان) إحدى العَظَائِمِ
وسُقْنا نِسَاءَ الحَيِ (مُرةَ) بالقَنَا ... وبالخَيْلِ تَردِى قَدْ حَوينا (ابنَ ظَالِمِ)
جَنيباً لا عْضَادِ النَواجِى يَقُدْنَه ... عَلى تعبٍ بَينَ النَواجِى الرَواسِمِ
يَقُول : اقبلُوا مِنى الفِداءَ وانْعِمُوا ... عَليَّ وجُزونى ، مَكانَ القَوادِمِ
وسائل بنا جَارَ (ابن عوف) فَقَدْ رأى ... حَليلته ، جَالتْ عَليها مقاسمى
غداةَ سَبَينا مِنْ (خَفَاجة) سبيَها ... ومَرتْ لهم مِنا نُحُوسُ الاشَائمِ ..
فَمن مُبْلغ عنى (الخزارج) غَارةً ... عَلى حى (عَوْفٍ) مُوجِفاً غَيرَ نَائِمِ (١)

(١) الخبر والأبيات فى الأغانى ج ١٦ ترجمة زيد الخيل .

مع فـــزارة :

غَزت بنو نَبهان قوم زيد ، فزارة[١] وكان زيد مع قومه ، فاقتتل الفريقان قتالا شديداً ، ثم انهزمت فزارة ، وساقت بنو نبهان الغنائم من النساء والصبيان ولكن فزارة عادت فحشدت ، واستعانت بأحياء من قيس[٢] وفيهم رجل من سليم[٣] ، شديد البأس سيد .. يقال له ، عباس بن أنس الرعلي ، كانت بنو سليم قد أرادوا عقد التاج على رأسه فى الجاهلية ، فحسده ابن عم له ، فلطم عينه ، فخرج عباس من أعمال بنى سليم فى عدة من أهل بيته وقومه ، فنزل فى بنى فزارة ، وكان معهم فى حربهم تلك ولم يكن لزيد المرباع[٤] حينئذ .. وأدركت فزارة بنى نبهان ، فاقتتلوا قتالا شديدا فلما علم زيد ما لقيت بنو نبهان نادى : يا بنى نبهان .. أأحمل ولى المرباع ؟ قالوا : نعم . فشد على بنى سليم فهزمهم ، وأخـذ ام الاسود ، امرأة عباس بن أنس ثم شد على فزارة والأخلاط فهزمهم ، وقال فى ذلك قصيدته التى مطلعها :

ألا وَدّعـــتْ جِيرَانَهَـــا امُّ اسودا وضَنَـــتْ على ذِى حَاجَـةٍ أن يُزَودا[٥]

وكذلك يذكر أبو الفرج ، مَوْقعةً اخرى له مع بنى فزارة ، فيقول : أغار زيد على بنى فزارة وبنى عبد الله بن غطفان ، ورئيسهم يومئذ أبوضب ،ومع زيد الخيل من بنى نبهان بطنان يقال لهما : بنو نصر ، وبنو مالك ، فأصاب وغنم ، وساقوا

---

(١) فزارة بن ذبيان : بطن عظيم من غطفان من العدنانية ـ معجم قبائل العرب

(٢) قبائل قيس من العدنانية

(٣) سليم : بضم السين ، فرع من قيس عيلان من العدنانية

(٤) أى ربع الغنيمة وهو حق الرؤساء ودليل الزعامة فى الجاهلية ـ يراجع الروض الانف ج ٦ ص ٥٦١

(٥) الخبر فى الاغانى ، ترجمته .. وكذلك القصيدة

الغنيمة وانتهى إلى العلم ، فاقتسموا النهاب ، فقال لهم زيد : أعطوني حق الرئاسة فأعطاه بنو نصر ، وأبى بنو مالك ، فغضب زيد ، وانحدر إلى بني نصر ، فبينا بنو مالك يقتسمون إذ غشيتهم فزارة وغطفان ، وهم حلفاء ، فاستنفدوا ما بأيديهم فلما رأى زيد ذلك ، شد على القوم ، فقتل رئيسهم أبا ضب ، وأخذ ما في أيديهم فدفعه إلى بني مالك ، وكانوا نادوه يومئذ : يا زيداه .. أَغثنا ، فكرّ على القوم حتى استنفد ما في ايديهم ورده ، وقال يذكر ذلك :

كَررَتُ على أبْطَالِ سَعْدٍ وَمالكٍ ومن يَدعُ الدَاعِي إذا هو نَدَدَا[1]

على أنني لا أُريد في هذا الفصل أن أستقصي جميع وقائع زيد الخيل ، مكتفيا بما أوردته ، ربما ضم هذا الذى أوردت دلائل يأتي في مقدمتها شجاعته ومكانته في قومه ، وحصوله على محل الرئاسة منهم ، وميله غالبا إلى العفو عن كبار الأسرى واستئلاف القلوب .. واجتلاب الثناء .. خاصة من الشعراء .

كما أننا نلاحظ أن زيد الخيل ، كان فعلا كثير الوقائع في القبائل العدنانية وكما قال هو :

إنا لنُكْثِرُ في قَيسٍ وقائعَنا وفي تَميمٍ ، وهذَا الحيّ من أَسِد
وعامرُ بن طُفَيلٍ قَدْ نَحَوتُ له صَدْرَ القَنَاةِ بِمَاضِي الحَدِّ مطّرد

فهذه القبائل التي يسميها كلها عدنانية .. بالاضافة إلى بني مرة وبني فزارة ..

أما اذا التحمت أحياء من قبيلته في صراع ، فانه يحاول أن يجنب سيفه الخوض في دماء ذوي القربى ويحث أبناءه على ألا يفعلوا كما في يوم اليحاميم حينما

---

(١) الخبر والأبيات في الأغاني : ترجمة زيد

التقت جديلة والغوث وهما من طيء في قتال[1]

على أننا نجد زيد الخيل ، مع معاركه فى أحياء قيس ، وهو ما اعترف به عند وفاته حينما قال لأصحابه : جنبونى بلادَ قيس ، فقد كانت بيننا حماسات .. نجده .. مع هذه الحماسات قد تقتضيه الظروف أن يعقد مع بعض تلك الأحياء هدنة أو صداقة ، بل ها نحن نجده يلجأ إلى تميم فينزل ضيفا على قيس بن عاصم كبيرها وذلك بعد أن يئس من إصلاح ذات بين قومه ، على إثر قتال نشب بين أخلاطها فيعتزلهم جميعا ، ويعبر عن سخطه باللجوء إلى تميم ولكن الحرب تأبى إلا أن تلاحقه فتغزو بني تميم بكر بن وائل (قبيلة عدنانية) ويقف زيد على الحياد ، حتى إذا رأى أن كفة بكر راجحة على تميم (مضيفيه) حمل إلى جانبها معتزيا إلى تميم لا الى قومه حتى انتصرت تميم[2]

ولكن العلاقة الطيبة التى طرأت بينه وبين تميم ورئيسها قيس بن عاصم لم تلبث طويلا ، فما عتم أن اختلف الرجلان على غنيمة المعركة ، ثم تباعدا وتشاتما أو تهاجيا .

أسره :

ومع أن معارك زيد الخيل ، كانت تكلّل دائما بالنصر والفوز والغنائم ، الا أن هذه القاعدة لم تطرد .. إذ اعتورها الخلل .. فقد نقل إلينا تاريخه ، أنه تعرض للأسر ذات مرة ..

فقد ذكر ابن الكلبى فى « انساب الخيل »[3] ، أن عيينة بن حصن أسر زيد الخيل ، ولم تكن من عادة عيينة أن يكتف أسيراً ابدًا ، ويقول فى ذلك :

---

(١) الأغانى : ترجمته . والشعراء الفرسان ص ١٤٢

(٢) الأغانى ترجمة زيد

(٣) ص ٧٩ ـ ٨٠

« آخذه مقويا ويغلبني أسيرا ، فكان أن عمد زبان بن سيَّار بن عمر الفزاري ، وكان يحسد عيينة على فرسه المشهور (سلّم) ، فهيأه له بسرجه ولجامه ، ووضعه في الوادي وأرسل من يخبره ، فكان ان استوى عليه زيد ، ونجا من الأسر بغير فداء .. فما كان من عيينة إلا أن أرسل إلى زيد يطلب اليه أن يحتفظ بالفرس ، وألا يرده .. ففعل زيد .. ولكن زبان لم يرض بهذه النتيجة فأرسل الى زيد يطالب بفرسه ويقول :

مَنَنتُ ، فلا تَكْفُر بلائي ونعْمَتي ... وأدِّ .. كما أدّاكَ يا زَيد سَلَّما
فَقَد كان مَيْمُونا عليك ، فأَدِّه ... والا تُؤديه يَكن مهر أشأما

ونجد أن من الطبيعي أن يتعرض زيد الخيل للهزيمة والأسر . لكثرة معاركه ، وربما تعرض للأسر أكثر من مرة .. فهذا الشاعر سلامة بن جَنْدل يحدثنا صراحة بأنه قد لاقى صِفادا .. أي أنه وقع أسيرا وصُفّد ، خلافاً لطريقة عيينة الذى لم يَصفد أسراه .. يقول سلامة :

وزَيد الخَيل قَدْ لاقى صِفَاداً ... يَعضُ بسَاعِد ، وبعَظْم سَاقِ [1]

كما نجده تعرض للاصابة فى حرب الفساد ، فقد طعن فيها ، طعنهُ عمرو ابن صخر بن أشنع من جديلة طيء ، فارس البقيرة [2] .

وكان زيد الخيل فى هذه الحرب من رؤساء الغوث ، وكانت بين جديلة والغوث وكلاهما من طيء .. ودارت فيها الدائرة على جَدِيلة .

---

(١) ديوان سلامة بن جَنْدَل ص ٢٤٥

(٢) مجلة العرب العدد ٧و٨ السنة : ٩ المحرم وصفر ١٣٩٥ من مقال للأستاذ حمد الجاسر عن ديوان « زيد الخيل »

وفادته ووفاته

في سنة تسع من الهجرة ، وهي السنة التي سميت سنة الوفود ، لكثرة وفود القبائل التي وفدت فيها إلى المدينة المنورة ، لتقديم الطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم .

في هذه السنة ـ وقيل في السنة العاشرة ـ قَدِم زيد الخيل ، ومعه رجال من وجهاء قومه من طيئ ، وكان هو سّيدهم[1] ، وكان من الوافدين معه (زر ابن سدوس النبهاني) ، و (قبيصة بن الأسود بن جوير الجرمي) و (مالك بن عبد الله بن خَيبرى) من بني معن و (قُبن بن خُليف الطريفي) .. فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد ، ودخلوا فلبثوا بحيث يسمعون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خطبته ، فلما أبصر بهم قال صلى الله عليه وسلم : إني خير لكم من العُزّى ولاتها ، ومن الجبل الأسود الذي تعبدون من دون الله عز وجل ، ومما حازت مناع[2] من كل ضار غير نفاع ..

(١) سيرة ابن هشام ص ٤٠١ من الروض الأنف .

(٢) مناع : اسم لاجا : سمي بذلك لامتناعهم فيه من ملوك العرب والعجم ، أو اسم هضبة في جبال طيئ ، ويقال : المناعان ، وهما جبلان. المناسك لأبي اسحق الهجري ، تحقيق الأستاذ حمد الجاسر ص ٣٠٨ ، وجاء في الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٣٨٨ في سياق الحديث عن يوم اليحاميم أو قارات حوق . ان مناع ذروة أجا ، وقد اوقدوا عليها النار ذلك اليوم ، وفي معجم البلدان لياقوت مناع بوزن نزال : وحكمه من المنع : اسم هضبة في جبل طيئ ، ويقال المناعان : وهما جبلان . اهـ . اما الجبل الذي يعبدونه فهو الفَلْس .

فقام زيد الخيل وكان من أعظمهم خَلْقا ، وأحسنهم وجها وشعْراً ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه : الحمد لله الذى أتى بك من سهلك وحَزْنك ، وسهّل قلبك للإيمان . ثم قبض على يده . فقال : من أنت ؟ فقال : زيد الخيل بن مهلهل ، وأنا أشهد أن لا اله إلا الله وأنك عبد الله ورسوله . فقال له : بل أنت زيد الخير . ثم قال : يا زيد .. ما خُبِّرت عن رجل شيئا قط ، الا رأيته دون ما خبرت عنه غيرك[1] فبايعه وحسن إسلامه ، وكتب له كتابا على ما اراد ، وأقطعه قُرى كثيرة منها فيد[2] وكتب لكل واحد من رجال الوفد على قومه[3]

---

(١) فى سيرة بن هشام روايته عن ابن اسحق ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى من لا أتهم من رجال طىء ، ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ، ثم جاءنى ، الا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل ، فانه لم يبلغ كل ما كان فيه .

(٢) تحدث عن (فيد) بتفصيل جميل استاذى الجليل الشيخ (حمد الجاسر) فى المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية شمال المملكة بالقسم الثالث ص ١٠٤٧ فقال ما خلاصته : (فَيْد : بفتح الفاء واسكان الياء المثناة التحتية والدال مهملة من أقدم القرى وأشهرها وكانت من بلاد بنى نبهان من طىء ، ولكونها كذلك أقطعها الرسول زيد الخيل النبهانى ، .. واشتهرت بأمرين ؛ أحدهما اضافتها إلى حمى كان من أشهر الأحماء ، والثانى ؛ وقوعها فى منتصف طريق الحاج العراقى ، وكان الحجاج يُودِعُون بها ما شغلهم من أزوادهم وامتعتهم فاذا رجعوا أخذوها ، واهلها مغوثة للحاج ، وكان يضرب المثل بكعكها (الكليجة) ، وتقع فيد فى ارض من أكرم نجد وكانت فى فلاة بين أسد وطىء فى الجاهلية ، وهى شرق جبل يدعى الصعانين الواقع جنوب جبل سلمى الشرقى بقرب الدرجة ٣٠ـ٤٢ طولا و١٠ـ٢٧ عرضا شماليا تقريبا والمسافة بين فيد وحائل تقرب من مئة كيلو ، وهى الآن قرية كبيرة يقارب عدد سكانها ألف نسمة ، نصفهم بَدْوٌ رحل ، وفيها مدرسة اهـ .

أقول ومما ورد فى الأغانى فى ترجمة زيد طبعة مكتبة الحياة ص ٩٤ المجلد ١٦ القسم الأول قوله (وكتب معه رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنى نبهان بفدك كتابا مفردا « وفدك » اليوم تابعة لامارة حايل ، حيث أجا وسلمى ، منازل طىء .

(٣) فى ترجمة زيد فى تهذيب ابن عساكر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجازهم بخمس أواق من الفضة لكل رجل منهم ، واعطى زيد الخيل اثنتى عشرة اوقية ونشا ، وكانت هذه الجائزة ارفع ما يجيز بها والنش كما فى لسان العرب فى مادة (نشش) هو وزن نواة من ذهب ، وقيل هو وزن عشرين درهما ، وقيل وزن خمسة دراهم ، وقيل هو ربع اوقية ، والاوقية اربعون درهما ، ونش الشىء : اى نصفه ، وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يصدق امرأة من نسائه اكثر من اثنتى عشرة اوقية ونش : الأوقية اربعون والنش عشرون فيكون الجميع خمسمائة درهم . قال

إلاّوزر بن سدوس فقد قال (أيْ وزر) : إنى لأرى رجلاً ليملكن رقابَ العرب ، ولا والله لا يملك رقبتى عربى أبداً . ثم خرج إلى الشام ، وتنصر وحلق رأسه ، إذن فقد أعجب النبى صلى الله عليه وسلم بشخصية زيد .. ورأى أن ما نقله إليه الرواة عنه مطابق للواقع .. ولكنه علم بما آتاه الله منْ علم أن هذه الشخصية الباذخة التى جمع الله لها من صفات الخير الشىء الكثير توشك ان ترحل عن الدنيا فقال متأسفا عليه بعد ان غادر مجلسه : اىّ فتى لو لم تدركه أم كُلْبَة[١] يعنى الحمى ، او قال : ان نجا من آجام المدينة .

وقد بقى زيد الخير ، فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حوالى أسبوعين ، كما صرح هو بذلك شعرا ، حين مُنصرفه منها :

أُنيخَتْ بآجامِ المَدِينةِ أرْبعَاً وعَشراً ، يُغَنى فَوقَها اللّيلَ طَائِرُ[٢]
فَلما قَضَتْ أصْحَابها كُلَّ بغية وخَطَّ كِتَاباً فى الصَحِيفةِ سَاطِرُ
شَدَدتُ عَليها رَحْلَها وشَلِيلها مِنْ الدَرْسِ والشَّعْراءِ والبَطنُ ضَامِرُ

الجوهرى النش عشرون درهماً لانه نصف أوقية ، ويسمون العشرين نشا . قال ابن الاعرابى . النش : النصف من كل شىء .

قلت : يبدو ان النش لغة فى النصف .

(١) الكلب فى الاصل تعلق الشى بالشىء فى شدة ، وشدة جذب .. كما هو فى (مقاييس اللغة) لابن فارس ، وفيه يقول : ومن الباب كُلْبة الزمان وكَلَبةُ : أى شدته . وفى الروض الانف ج ٧ ص ٤٤٨ يقول : الكلبة : شدة الرعدة وكَلَبُ البرد : شدائده ، فهذه أم كلبه بالهاء ، وهى الحمى . اهـ . ويقال للحمى ايضا (أم مِلدم)، من لدمت النائحة صدرها ، تَلدُمه ، وتلدِمه ، وهى تلتدم ، معناه تضرب صدرها ، والمِلدم : الحجر الذى يدق به نوى الابل ، وانما سميت الحمى ام مِلدم من هذا (النوادر لابى مسحل الاعرابى تحقيق : عزة حسن) وفى (لسان العرب) ان ام ملدم ، الحمى ، وهى كنيتها ، والعرب تقول : قالت الحمى : انا ام ملدم ، آكل اللحم ، وامص الدم ، وفيه ان الميم الاولى مكسورة ، وبعضهم يقولها بالذال المعجمة .

(٢) فى رواية الأغانى ترجمة زيد :

انخت بآطام المدينة اربعا وخمسا يغنى فوقها الليل طائر

فتكون مدة اقامته بالمدينة المنورة تسعة أيام فقط .

وقد كان مدة اقامته ، عِنْد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين ظهرانى أَصحابه محل الحفاوة البالغة والاكرام ، يفسح له الرسول الكريم فى المجلس ، ويؤثره بما يجلس عليه من بساط ، أو يدفع إليه متكآته ، مُصراً على إيثاره [1] ويكتب له ما يقطعه من هبات وأرضين ، ويجزل جائزته [2] فلما شد رواحله ، وعزم هو ورفقته على العودة إلى ديارهم ، كانت حمى المدينة ، التى كانت سائدة بها تلك الأيام ، قد انشبت أظفارها به ، من حيث يدرى أوْ لا يدرى ، ومضى لطيته ، وطلب من أصْحابه أن يجنبوه ديار قيس (من المضريين) لما كان بينه وبينهم فى الجاهلية من حروب ، وهو يريد ـ بعد إسلامه ـ أن يقضى على ثأرات الجاهلية ، فلما كان فى فردة [3] وهو ماء لحي من أحياء طئ اشتدت عليه وطأة الحمى ،

---

(١) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرح له متكأ ، فاعظم أن يتكئ بين يديه فرد المتكأ ، فاعاده عليه ثلاثا ، وتقول بعض الروايات انه بسط له بساطه .

(٢) تقول بعض الروايات إن زيد بن مهلهل أهدى الرسول عليه الصلاة والسلام مِخْذَماً والرَّسُوب ، وكانا سيفين لصنم بني الفُلُس (الروض الأنف ص ٤٤٩ ج ٧) ولكن الطبرى يذكر فى الجزء ٢ ص ٣٧٥ ، أن علي ابن ابى طالب حينما ارسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى سرية الى طئ فى ربيع الآخر سنة تسع سبى منهم وأخذ السيفين المذكورين ، ويقول ابن الاثير فى الكامل : وحملها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ١٩٤ ج ٢ .

(٣) فردة : لايزال جبل فردة معروفا فى (بلاد طئ) ، والى جواره ماء وبه قبر زيد ، وهما فردتان تقعان فى الطرف الشمالى الشرقى من سلسلة الجبال المسماة (محجر) الواقعة غرب أجا ، يفصل بينهما منخفض رملى ممتد من النفوذ ، يتجه صوب الغرب ، ثم ينقطع بقربها ، والجنوبية منها تدعى فردة الشموس ، والغربية تدعى فردة النظيم ص ١٠٣٢ و١٠٣٣ من المعجم الجغرافي القسم الثالث ـ حمد الجاسر ، وفيه ص ١٠٢٨ : (ان زيدا تنكب عن ارض قيس ، وهم قيس عيلان ، وبلادهم كانت تحيط بشرقى المدينة ، ولا شك أنه أخذ طريق خيبر فتيماء ثم عطف من طريقها المتجه الى بلاد طئ ، حيث يمر بماء فردة التى لجرم من طئ بقرب الجبلين المعروفين الآن بهذا الاسم وهناك قضى نحبه رضى الله عنه ١٠هـ .

وجاء ذكرها فى غير شعر احتضاره فى قوله من قصيدة رائية ص ٦٢ فى ديوانه :

وان حوالى فَرْدة فعناصر وكتلة حيا يا بن شيما كراكر

وذلك كما سيأتى :

وجاء فى الكامل لابن الأثير ص ١٠١ ج ٢ ، فى أحداث السنة الثالثة ما يدل على أنه وقفت بها أول سرية خرج

وأحس بدنو أجله . تصور حاله ، وقد حال الموت بينه وبين أحبته فى دياره ، الذين كانوا فى شوق إلى عودته ، وأن رفقاءه سيعودون مع شرُوق الشمس إلى وطنهم ، وسيتلقاهم أهلهم بالفرح الغامر .. وسيوزعون الهدايا والأعطيات مما حملوا من المدينة .. أما هو .. ليت ما أصابه كان أصابه وهو بين أهله وذويه ، فى القفيل وطابة وأَرمام ومنشد .. إذن لهان الأمر على نفسه .. ولامتدت إلى تمريضه ومواساته ، أيدٍ حانيةٌ رقيقةٌ .. من نسائه أو من محارمه ، ولكانت أَنامِلُهن الناعمة المخلصة تعين على التماس الشفاء .. أما هؤلاء النسوة اللاتى بادرن بمواساته بفردة .. ليتهن لم يعدنه ، وليت أولئك الأَحِبة الحانيات كنّ فى مكانهن :

أَمُرْ تحِل صَبْحى ، المشَـارقَ ، غُدوةً   وأُتـركُ .. فى بَيتٍ بِفَـرْدَة مُنْجِــدِ ؟!

سَقـى اللــهُ ما بــين القَفيل فَطَابة   فَما دُونَ أَرْمَــام فما فَوق مُنشِدِ[1]

فيها زيد بن حارثة أميرا للحاق عير قريش حينما غيرت طريقها المعتادة التى تسلكها إلى الشام بعد بدر ، فسلكوا طريق العراق فلقيهم زيد على ماء الفردة ، فأصاب العير ، وساق الغنيمة ثم أورد ابن الاثير ضبط الاسم فقال الفردةُ ، وقيل فردة بالفاء المفتوحة والراء الساكنة وبه مات زيد الخيل وقال ان ابن « الفرات » ، ضبطه فى غير موضع قردة بالقاف وقال ابن اسحق وسير زيد بن حارثة إلى الفردة ماء من مياه نجد ضبطه ابن الفرات ايضا بفتح الفاء والراء ، فان كانا مكانين والا فقد ضبط ابن الفرات أحدهما خطأ .

قلت : وقد تبين من قبل ان صحة الاسم فردة بالفاء .

(١) القفيل : ضبطها ياقوت بفتح القاف وكسر الفاء على وزن فعيل ، واستشهد بهذا البيت ، وقال عنه الاستاذ حمد الجاسر فى المعجم الجغرافى ـ القسم الثالث الخاص بشمال المملكة : والقفيل لايزال معروفا ، وهو طرف بارز من حرة ابضة مرتفع ، وهو طرفها الشرقى الشمالى مطل على قرية فيد .. واهل تلك الجهة ينطقونه بضم القاف (القفيل) .

اما طابة ، فاكتفى ياقوت بأن قال : موضع فى أرض طيء ، واورد هذا البيت ، أما الاستاذ حمد الجاسر ، فاضاف ، فى معجمه عن شمال المملكة بانها الآن قرية فى سفح جبل سلمى من الجنوب ، جنوب مدينة حائل بنحو ١٣٠ كيلو مترا .

أما (أرمام) فهذا الموضع عند (ياقوت) بفتح الهمزة ، وفيه اشارة إلى أنه واد وانه على مَقْربة مِنْ فيد .
أما هو عِنْد البكرى فبكسر الهمزة ، وقد استشهد ببيت زيد ورواه هكذا :

هُنَـالك .. لوَ أنـى مَرِضــتُ لعَادَنِى عَوائِدُ ، مَنْ لم يُشفَ مِنْهُن يُجْهَد !

فَليتَ اللواتى عُدْنَنـى .. لَم يَعُدْنَنى ولَيتَ اللواتِـى غِبْـنَ عَنـى عُوَّدِى !

وقد قضى زيد بفردة ، بعد أن تمرض بها سبعة ايام واقام عليه المناحة سَبْعاً صاحبه قبيصة بن الأسود ، ثم بعث راحلته ورحله ، مع ما كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراضٍ ، إلى رهطه بني نبهان بفيد ، فلما رأت زوجته الراحلة خالية من صاحبها ، أشعلت النار فى الرحل[1] فى سَورة غضب ويأس ، وكانت على جاهليتها وقالت :

أَلا إنمـا زَيد لكُلِ عَظِيمةٍ إذا أقْبلـت أَوْبَ الجَـرادِ رِعَالُها

لَقاهُـم فما طَاشــتْ يَداه بِضَرْبهم ولا طَعْنِهـم ، حتـى تَولى سِجَالُها

سَقَـى اللـه مَابـين القفَيل فطابة فَبُرقَـة إرْمـام فما حَول مُنْشِدِ

(والبرقة ، فى (لسان العرب) الأرض الغليظة المختلطة بحجارة ورمل) فهى عند (زيد) برقة واحدة ، أما عند جرير ، فهما برقتان :

ولَقـدْ ذَكَرتُـك والمطـى خواضع مِثْـل الجُفـون ببرقَتِـى أرْمَامِ

وهذا هو الشاهد الثاني من شواهد البكرى فى سياق أرمام وقد استعرض الاستاذ حمد الجاسر ، قول ياقوت والبكرى وغيرهما ، وكأنه مال الى فتح الهمزة ، فقد ضبطه بذلك ، واستنتج انه يقع غرب فيد ، بميل نحو الجنوب حيث الاتجاه الى الحجاز بـ ٣٨ ميلا ، وفيما لخصه ما يدل على وجود رحبتين (برقتين) فى دار واحدة : الشرقية هى ارمام ، والغربية وادى الخلة .

اما مُنشد .. وضبطه بضم الميم وسكون النون وكسر الشين ، فقد ذكر الاستاذ حمد فى تعميم شمال المملكة ، انه يطلق على مواضع منها ما ذكره زيد فى بيته هذا ، واورد البكرى رواية (مرشد) وليس فيه ولا فى ياقوت ما يعين على تحديده إلا أن الاستاذ الجاسر ، يستنتج أنه يقع جنوب سلمى لان المواقع التى ذكرها تقع جنوبها أو شرقها .

(١) يقول ابن هشام : فلما مات عمدت امرأته الى ما كان معه من كتبه التى قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرقتها بالنار ، وهذا يدل على انها اقتصرت فى الحرق على كتب الاقطاع .. ولم تحرق الراحلة والرحل ..

اما الاقطاع ، فيقول صاحب الروض الانف ص ٤٤٩ ج ٧ (وكتب له كتابا على ما اراد ، واقطعه قرى كثيرة منها فيد) ، وفيد هى بلد زيد .

وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما بلغه ضرب امرأة زيد الراحلة بالنار واحتراق ما كتبه له قال : بؤسا لبني نبهان . ولعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصد بذلك إبداء تأسفه على ما أضاعته على نفسها وعلى ولد زيد وذويه ورهطه من ارضين ..

* * *

ولنا ان نتطلع متسائلين عن حياة زيد ، مدة بقائه فى المدينة المنورة ، فى صُحْبة الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام . سنجد فى كتب السيرة والتاريخ ، نتفا صغيرة من الأخبار ، هنا وهناك ، نعدّها ومضات خاطفة ، تنبئ ، ـ على أية حال ـ على اهتمام زيد بأمور دينه ، أو على بعد همته .. أو علوّ قدره ، عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

على أننا ينبغى أن ندرك ، أن الروايات كثيرا ما تتداخل فى أمر الوفود الذين كثر عددهم فى سنة تسع أو عشر ، وأن ما يروى فى مصدر بحق وفد ما ، أو رجل من وفد ، قد يروى فى مصدر آخر ، بحق وفد آخر ، أو رجل فيه .. على أن هذا لا يمنع الاستفادة من الحادثة فى حق من رويت عنه .. وهناك من وسائل الترجيح ، ما قد يعين أحيانا ـ على تحديد عزو الحادثة إلى صاحبها .

يروى فى تكريم الرسول صلى الله عليه وسلم لزيد أنه علمه دعوات إذا دعا بها وجد الاجابة ، وإذا استسقى بها وجد السُقيا . وقيل فى مناسبة إيراد أم كُلْبة ، (حمى المدينة) انه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعطيه ثلاثمائة فارس ليغير بهم على قصور الروم ، فقال له الرسول : أى رجل أنت يا زيد ، ولكن ام كلبة تقتلك .

وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : إن فيك لخصلتين يحبهما الله عز وجل . قال : ما هما يا رسول الله ؟ قال : الاناة والحلم فقال زيد : الحمد

لله الذى جبلنى على ما يحب الله ورسوله[١] .

ويغتنم زيد وجوده فى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسأله عما يهمه من أمر دينه ، ومن ذلك استفتاؤه عما تصيده الكلاب المدربة من الصيد .. أحلال هو ؟ قال متسائلا : يا رسول الله فينا رجلان ، يقال لأحدهما ذريح ، والآخر يكنى : أبا دجانة ، ولهما أكلب خمسة تصيد الظباء .. فما ترى فى صيدهم ؟ فأنزل الله عز وجل : « يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله ، ، فكلوا مما أمسكن علكيم واذكروا اسم الله عليه ، واتقوا الله ، ان الله سريع الحساب[٢] » صدق الله العظيم .

لذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، معلما : إذا ارسلت كلبك ، فاذكر اسم الله عليه ، وكل مما أمسك .. أو كما قال عليه السلام[٣]

وأرى ما يتسق مع خلق زيد ، أن يهتم أيضا بسؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن مكارم الأخلاق .. ها هو يقول :

ـ يا رسول الله .. إنى أتينك من مسيرة تسع .. انصبت راحلتي ، وأسهرت

---

(١) الأغانى : ترجمته

(٢) الآية ٤ من سورة المائدة ، ويراجع تفسيرها فى ابن كثير ، حيث وردت رواية سؤال زيد الخيل مع عدى ابن حاتم ولكن عدياً لم يكن مقدمه مع زيد .. وتراجع القصة فى حياة الحيوان للجاحظ ص ٢٠٤ ج ٢ تحت عنوان (مساءلة زيد الخيل للرسول الكريم ، واستدل بها الجاحظ على شأن الكلب ، لاهتمام وافد كريم ، احسن الرسول عليه الصلاة والسلام وفادته والثناء عليه ، بالسؤال فى أمره .. وانا أقول ان الدلالة لا على شأن الكلب ، وانما للصيد وما يتعلق به .

تراجع : الاصابة ايضا الترجمة ٢٤٢٩ .

فى كتاب الحيوان ايضا ص ٢٠٥ ج ٢ اسماء الكلاب التى يملكها الرجلان .

(٣) الاغانى : ترجمة زيد الخيل

ليلي .. واظمأت نهاري .. أسألك عن خصلتين ..

ـ سل

ـ أسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصبحت ؟

ـ أصبحت أحب الخير وأهله ، ومن يعمل به ، فان عملت به أثبت بثواب ، وإن فاتنى منه شئ .. حزنت عليه !!

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

« هذه علامة الله فيمن يريد ، ولو أرادك بالأخرى لهيأك لها ثم لا يبالى الله فى أى واد هلكت »[1]

***

وبعد ...

وقبل أن أترك قصة وفادة زيد الخير مع نفر من قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لابد من وقفة تأمل فى بعض ما ورد من أخبار تدرج اسمه ضمن المؤلفة قلوبهم .. فلنلق نظرة فاحصة على هذه الأخبار ..

هناك خبر يورد اسمه ضمن أولئك الرجال الذين اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيات جزيلة ، مما أفاء الله عليه يوم حنين .. ونحن نجد أسماء المؤلفة قلوبهم ذلك اليوم فى كتاب شامل .. هو (فتح الباري بشرح البخاري)[2]

---

(١) الاصابة واسد الغابة . ترجمته

(٢) ص ١٠٩ ج ٩ طبع مصطفى البابى ١٣٧٨ هـ /١٩٥٩ م

فنجده يقول : وذكر ابن الجوزي فيهم زيد الخيل ، و ... يعدد أسماء أخرى وإذا افترضنا صحة الرواية .. فلنا أن نتساءل .. هل كان زيد يومها مسلما ؟ لأن المؤلفة قلوبهم جماعة أسلموا إسلاما مبدئيا ضعيفا .. هذا حسب التعريف المشهور .

إذا كان قد أسلم يوم حنين وهو فى سنة ثمان من الهجرة .. فان وفادته بعد ذلك فى سنة تسع أو بعدها تكون لتأكيد إسلامه ، ولكن قصة لقائه بالرسول وسؤاله عن اسمه ، ثم تسميته بزيد الخير .. وسرور الرسول صلى الله عليه وسلم بمقدمه .. لتدل على أنه لم يكن قد أسلم من قبل . أَما اذا كان قد أعطى ما أعطى يوم حنين وهو لم يسلم بعد .. رغبة فى اجتذابه إلى الاسلام ، وهذا رأى آخر يقول به بعض المؤرخين فى تفسير المؤلفة قلوبهم آنذاك .. فلا يزال الرد الأول قائما ، فان قصة اللقاء الذى تم بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تصوره لقاء لأول مرة فلم يبق على افتراض صحته بالنسبة لزيد الخيل ، إلا ان يكون قد أرسلت إليه هبته ، وهو فى بلاده أو على الاقل دون أن يتمكن من رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا يبدو افتراضا بعيدا .

وخبر آخر يدرج اسمه أيضا ضمن المؤلفة قلوبهم ، وهو خبر الذهيبة .. ، وخلاصته أن علي بن أبي طالب ، ذهب إلى اليمن ، وأرسل من هناك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهيبة أى ذهبا لم يخلص من شوائبه ، فقسمه الرسول صلى الله عليه وسلم بين أربعة من المؤلفة قلوبهم ، وهذا الخبر فى صحيح البخاري ، وفيه تصريح باسم زيد الخيل ونصه :

(بعث علي بن أَبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهيبة فى أديم مقروظ ، لم تحصَّل من ترابها ، قال : فقسمها بين أربعة

نفر بين عيينة بن بدر ، وأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل .. الخ[1]

وهكذا نجد اسم زيد الخيل ـ فى هذا الحديث ـ واردا فى صلبه وليس فى شروحاته كما أن عنوان الحديث هو (بعث علي بن ابي طالب ، وخالد بن الوليد ، رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع) .

فاذا كان وصول تلك الذهيبة ، أثناء وجود زيد الخير فى المدينة ، مدة وفادته وقد طالت كما علمنا بعض الوقت ، وكانت حركة الوفود نشطة ، فان اجتماع الصناديد الأربعة فيها أمر وارد .. ويدل إعطاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، لزيد الخيل منها على إمعان منه صلى الله عليه وسلم فى تكريمه ، وتحبيبه فى الاسلام ، ولا يدل بالضرورة على ضعف إسلامه ، فقد دلت شواهد وفادته على صدق يقينه ، وثبات قلبه على الاسلام .

كما لا تدل هذه القصة ، ولا سابقتها ، على لقاء سابق قد تم بين الرسول صلى الله عليه وسلم وزيد الخيل ، وان الخبر المشهور فى وفادته ، ليدل فى أكثر من موضع على أنه كان اللقاء الأول[2] . كما كان اللقاء الأخير .

---

(١) الحديث طويل ، انظر ص ١٢٩ ج ٩ من فتح الباري طبعة مصطفى البابي سنة ١٣٧٨ هـ /١٩٥٩ م وجاء فى الشرح : (ذهيبة : تصغير ذهبة ، وكأنه أنثى على معنى الطائفة أو الجملة ، وقال الخطابى : على معنى القطعة ، وفيه نظر لانها كانت تبرا ، وقد يؤنث الذهب فى بعض اللغات ، وفى معظم النسخ من مسلم بذهبة : بفتحتين بغير تصغير ، وقوله : مقروظ اى مدبوغ بالقرظ ، وقوله : لم تحصل من ترابها اى لم تخلص من تراب المعدن ، فكأنها كانت تبرا ، وتخليصها بالسبك .

(٢) فى تهذيب ابن عساكر فى ترجمة زيد ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جاء ليسلم على الرسول : (تقدم يا زيد ، فمارأيتك حتى أحببت أن أراك) وذلك فى خبر وفادته ، مما يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يره من قبل .

ويبدو أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه كان معجبا بشخصية زيد ، فقد كان بينهما حوار طويل ، نمّ عن اهتمام عمر رضي الله عنه به وبقومه ، كما دلّ على أن زيدا ، رضي الله عنه حينما يغض من شأن نفسه بين قومه ، يرفع من شأن رجال بارزين فى قبيلته ، فيتمدح بهم وبخصالهم ، ويعددهم ويعدد فضائلهم .

وسأعود ـ ان شاء الله ـ الى هذا الحديث بشىء من التفصيل .

***

الرواية السابقة التى أوردتها فى وفاته عند عودته من وفادته ، وفى الطريق الى بلده ، هى المشهورة .. التى تتناقلها أكثر المصادر .. على أن هناك رواية أخرى ، تشير الى انه بقي إلى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بل قيل إلى آخر عهد خلافته[1]

فان صاحب الأغاني ، يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه لقتال رئيس تغلب الذى يقال له الجرار ، عندما أبى الاسلام ، وامتنع منه ، وأن زيدا مضى إليه فقاتله لما أبى الاسلام ، وقال فى ذلك :

صبحت حَيَ بني الجَرار دَاهيةٌ ما إن لتَغْلبَ بَعْدَ اليوم جَرَارُ
نحْوِي النهاب ، ونَحْوِي كل جَارية كأن نُقْبَتَها فى الخَد دِينارُ[2]

---

(١) قال صاحب الاصابة فى ترجمته ، بعد ايراد الرواية الأولى : وقيل بل مات فى خلافة عمر . وقال صاحب أسد الغابة بعد ايراد قصة وفاته المشهورة ، وقيل : بل توفى آخر خلافة عمر .

(٢) الأغانى (ترجمة زيد الخيل) وقد سبق أن تكلمت عن هذا الشعر .

كما أن صاحب الاصابة ، يذكر له بيتين من الشعر بعث بهما إلى أبى بكر ، فى حروب الردة :

إمَام اما تَخْشَين بِنْت أبى نَصرْ فَقْدَ قَامَ بالأمر الجلي ابو بكر
نجيّ رسول الله فى الغار وحده وصاحبه الصديق فى معظم الأمر[1]

ولكن الرواية المشهورة ، هى وفاته بفردة ، أثناء عودته إلى بلاده ، ولعل ما قيل عَنْ قتاله للجرار او الشعر الذى بعث به لأبي بكر ، لعلهما لأحد من أولاده الشعراء وقد رُويت هاتان الروايتان بصيغة (يقال) التى لا يخفى ما فيها من ضعف .

ومما يؤيد وفاته إثر قفوله من وفادته على الرسول صلى الله عليه وسلم ، انه لم يرد له أى حديث .. ولو امتد به العمر بعد ذلك ، لاتسع له الزمن برواية شئ مما رأى أو سمِع فى مدينة الرسول الكريم[2] وإذا لم يكن فى وسع الباحث ، أن يعين عمر زيد الخير ، رضي الله عنه حين وفاته لأن تاريخ مولده مجهول ، فانه يستطيع أن يستنتج أنه لم يمت وهو هرم .. فقد دلت أوصافه يوم قدومه فى وفادته مع جماعة من قومه ، أنه كان ذا فتاء ورواء[3] وأنه ربما كان فى حوالى الستين من عمره .. وذلك على وجه التقريب .

---

(١) الاصابة : ترجمة زيد .

(٢) جاء فى ترجمته (فى الاصابة) قال ابن أبي حاتم : ليس يروى عنه حديث .

(٣) قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (أى فتى .. الخ)



مع .. معاصريه

إذا استعرضنا ترجمة زيد الخير ، نجده عاش حياة خصبة ، حافلة بالفروسية والكرم والحلم والعفو .. وتتجلى هذه الصفات وأمثالها من خلال علاقاته بمعاصريه الذين حفظ لنا التاريخ شيئا من أخباره معهم من مشاهير الرجال والنساء .. ويكفى إلقاء نظرة ـ ولو خاطفة ـ على ترجمته فى الأغاني لمعرفة أخباره مع بعض مشاهير عصره من أمثال : كعب بن زهير ، وأخيه بجير وحاتم الطائي .. وعامر ابن الطفيل وعامر بن مالك .. وطفيل الغنوي ، والحطيئة ، وقيس بن عاصم المنقري .. وسلامة بن جندل ، وماوية بنت حجر بن لقمان .. وغير هؤلاء .. وقد مرّ بنا فى قصة وفادته ذكر رفقته من وفد طيء ، ومن اتصل بهم من الرجال خلال رحلة وفادته .

مع بجير وكعب ابني زهير :

بجير وكعب شاعران . أبوهما الشاعر الجاهلي الشهير زهير بن أبي سلمى ، صاحب المعلقة المشهورة (أمِن أم أوفى دمنة لم تكلم) .. وهما من أُسرة تتوارث الشعر ، وكعب هو صاحب قصيدة (بانت سعاد) التى مدح فيها رسول الله صلى

الله عليه وسلم فعفا عما سلف من عدائه للإسلام ، وأجازه ببردته .. فى قصة معروفة مستفيضة .

لهذين الشاعرين ، أعنى بجيراً وكعبا أخبـار مع زيد الخيل .. وقـد تختلف روايات هذه الاخبار ، ولكنها تدل على اتصال أمرهما به ، وتتفق على ما قيل فى هذه الاخبار من أشعار .

تقول إحدى الروايات ، إن بجير بن زهير ، والحطيئة[١] مع رجل من بني بدر الفزاريين ، خرجوا يقتنصون الوحش ، وهم عزل لا سلاح لهم ، فلقيهم زيد الخيل ابن مهلهل الطائي فى عدة ، فأخذهم ، وخلى سبيل الحطيئة لفاقتـه وفقـره ، وافتدى بجير نفسه بفرس كميت ، وافتدى البدري نفسه بمائة من الإبل ، وبلغ الخبر كعبا ، وهو كما مرّ بنا أخو بجير ، وكان نازلاً فى بني مِلْقَط ، فادعى أن الفرس له ، وقال شعراً يحرض بنى ملقط على أخذ الكميت من زيد[٢] وتقول رواية أخرى[٣] إن بجيراً خرج مع غِلْمة يجتنون جنى الأرض ، فانطلق الغلمة وتركوا بجيراً ، فمرّ به زيد الخيل فأخذه ، ودار طيء مجاورة لدور بني عبد الله ابن غطفان ، فسأل الغلام : من أنت ؟ قال : أنا بجير بن زهير ، فحمله على ناقة وأرسله إلى ابيه ، فلما أتى الغلام أباه أخبره أن زيداً أخذه ثم خلاّه وحمله ، وكان لكعب بن زهير فرس من جياد خيل العرب ، وكان كعب جسيما ، وكان زيد الخيل من أعظم الناس وأجسمهم ، وكان لا يركب دابة الا أصابت إبهامه الأرض فقال زهير : ما أدرى ما أثيب به زيدًا إلا فرس كعب (أى انه فرس فاره يليق بجسامة

---

(١) الحطيئة : سيأتى الحديث عنه .. وهو راوية زهير بن أبى سلمى ، كما هو راوية كعب ابنه .. وعلاقته بزهير وآله حميمة .

(٢) القصة فى الأغاني : ترجمة زيد

(٣) هذه الرواية فى ذيل الأمالي والنوادر ص ٤٢٣.

زيد) فأرسل به اليه ، وكعب غائب ، فلما جاء كعب سأل عن الفرس ، فقيل له : قد أرسل به أبوك الى زيد ، فقال كعب لأبيه ، كأنك أردت أن تقوى زيدا على قتال غطفان ؟ فقال له زهير : هذه إبلي .. فخذ منها عن فرسك ما شئت ، وكان بين بني زهير ، وبين بني مِلقَط الطائيين ، إخاء ، وكان عمرو بن مِلقط وفّاداً الى الملوك وهو الذى أصاب بني تميم مع عمرو بن هند ، يوم أوارة ، فسأله فيهم ، فأطلقهم له فقال كعب شعرا ، يريد أن يلقى بين بنى ملقط ، وبين رهط زيد الخيل شراً ، فعرف زهير حين سمع الشعر ما أراد به ، وعرف ذلك زيد الخيل ، وبنو ملقط ، فأرسلت اليه بنو ملقط بفرس نحو فرسه ، وكانت عند كعب ، امرأة من غطفان ، لها شرف وحسب فقالت له : أما استحييت من أبيك لشرفه وسنه ، ان تُوَبِّسه[1] فى هبته عن أخيك ، ولامته وكان (أى قبل ذلك) قد نزل بكعب ضيفان ، فنجر لهم بكرًا كان لامرأته (التى لامته) فقال لها : ما تلومينى إلا لمكان بكرك الذى نحرت لضيوفى ، فلك به بكران ، وكان زهير كثير المال ، وكان كعب محدودا .. فقال كعب :

ألا بَكَرتْ عِرْسِى بِلَيلٍ تَلُومنى   وأكثـر أحْـلامِ النِسـاء إلى الرَدى

وذكر فى قصيدته زيداً ، فقال زهير لابنه ، هجوت رجلا غير مفحم ، وأنه خليق أن يظهر عليك .. فأجابه زيد بقصيدة ..

أما قصيدة كعب ، فقد بدأها بقرع زوجته على موقفها منه .. حتى إذا فرغ من ذلك ، انطلق يوجه القول إلى بني مِلقط ، الذى كان نزيلاً لديهم ، يحرضهم على زيد الخيل وقومه وفى هذا المعنى يقول :

---

(١) تحقره

فيا رَاكِباً ؛ إما عَرَضتَ فبلِّغنْ بني مِلْقط عنى ، إذا قيل : مَنْ عَنى ؟
فما خِلْتُكم يا قومُ ، كُنتم أذِلةً وما خِلتكم كنتم لمُخْتلسٍ جَنى
لقد كنتمُ بالسهل والحَزْن حَية إذا لَدَغتْ لم تُشْفِ لَدْغَتَها الرُّقى
فان تَغْضَبُوا أوْ تُدرِكُوا لى بِذِمةٍ لَعَمْرُكم لِمثلُ سَعْيكمُ .. كَفَى

فاذا بلغ هذه الاثارة .. مضى يقص قصة فرسه مع زيد الخيل :

لَقد نَال زيد الخَيل مَال أَخِيكْمُ وأصْبحَ زيدٌ ـ بَعْدَ فَقْرٍ ـ قَدْ أقتنى [1]
وإنَ الكُميتَ ، عِنْدَ زَيد ذمامةٌ وما بالكميت من خفاء لمن رأى ..
يبين لأفيال الرجال ومثله يبين ، إذا ما قيد فى الخَيلِ أَوْ جرى [2]

ويبدو من جواب زيد الخيل ، أنه استهول أن يكون كل هذا الغضب والإثارة ، من أجل جواد عجوز ـ كما زعم ـ لا يقوى على النهوض فضلاً عن الجرى ، يقام له هذا المأتم كل عام ، وكأنهم فقدُوا عظيما من رجالهم ، ومن أجله يحرضون زعماء القبيلة ليغيروا عليه أو على إبله لينهبوها .. وليس الأمر بهذا اليسر ، فان وراءه رجالاً شجعانا فوارس يصيبون المقاتل ، فى الأباهر والكلى ، لكنى .. فى واقع الأمر لا أحب أن اكدر نعمة زهير ولا صنيعه ، وإلا .. لشاتمت كعبا طوال عمري . أما قولك يا كعب : قد انبعثت عرسي بليل تلومنى .. إلخ .. فاعلم أن عطاء الله عليَّ كثير .. فاننى أتموّل من كل غارة .. وانى شجاع .. أقدم اذا أخذت الرعدة الجبناء :

---

(١) من الواضح ان كعبا لا يعنى ما يقول ، والا كيف يرمى زيد الخير بالفقر ، ويعيره انه لاحتيازه الكميت قد اقتنى ، بينما هو يناديه فى صدر البيت بزيد الخيل .. وهو لقبه الذى اطلق عليه لكثرة خيله ، او لعنايته بطرادها وتضميرها .. وهذا يعنى على اى حال انه فيها غير فقير .

(٢) افيال الرجال ، اى البسطاء ، الذين لا يحتاجون الى ذكاء كبير ليدركوا ان الكميت هو فرس كعب ، سواء أكان مقيدا ، أم راكضا ، نص الابيات من ديوان كعب .

أفي كُلِ عامٍ ، مأتـم تَجْمعَونَه	عَلى مُحْمَرٍ ثوبتمـوه ومـا رَضى [١]
تَجَـدّون خمشـاً ، بعـد خمش كأنه	على فاجـع من خـير قومـكم نَعى [٢]
تُحُضِّضُ (جبـاراً) عليّ ورهطه	وما صرَمتى فيهـم لأول مَنْ سَعى [٣]
ترعًـى بأذْنَـاب الشِعـاب ودونها	رِجَالٌ .. يَصدون الظلوم عَنْ الهوى [٤]
وَيركب ، يوم الـروع فيهـا فوارس	يَرُدون طَعْنـاً فى الأباهـر والكُلى [٥]
فلـولا زُهـير .. أن أكُدّر نِعْمَةً	لقَاذعـتُ كَعبًـا ما بقيت ومـا بَقَى [٦]
« قَـدْ انْبعثـت عِرسى بِليل تلومنى	وأقرِبْ باحلام النساءِ إلى الرَدى [٧] »
« تقول : أرى زَيداً ، وقد كان مقتراً	أَراه لعمـرى قد تَمَّـول وَاقتَنـى »
وذاك عطـاء اللـه مِنْ كُلِ غَارةٍ	مشَمـرةٍ يومـاً إذا قَلَّص الخُصى

وهناك رِواية ثالثة ، تتصل بقصته مع عامر بن الطفيل ، فقد أغار هذا الأَخير على بني فزارة واستاق نعماً لهم .. فاستعانوا بزيد الخيل ، الذى أدرك عامراً .. فتقاتلا . واستسلم عامر .. فجز زيد ناصيته (نكالاً له) وأخذ رمحه .. ورد النعم إلى بني بدر ..

---

(١) المحمر : الفرس الهجين الذى يشبه الحمار فى جريه . ثوبتموه : استنهضتموه وما رضى : بالالف اللينة والاصل الياء ، ولكن لغة طئ ، اذا كانت الياء متحركة جعلوها الفا .

(٢) تجدون خمشاً : اى تخمشون وجوهكم او تلطمونها كأنكم فقدتم (فاجعا) اى رجلا عظيما ، يفجعكم فقده ..

(٣) تحضض : تحض : تحرض (جبارا) اسم رجل ، ورهطه : قومه أو جماعته ، والصرمة : المائة من الابل .

(٤) هذه الابل ترعى باطراف الجبال ، وخلفها رجال يحمونها ..

(٥) الأباهر : جمع أبهر .. والكلى : جمع كلية .. وموضعهما مقتل .

* الشرح مأخوذ من ديوانى كعب وزيد الخيل .

(٦) المقصود بزهير هنا هو زهير بن أبى سُلمى والد كعب .. ويبدو أن زيداً يحتفظ بعلاقات جيدة معه .

(٧) كأنه أورد قول كعب ليرد عليه أو يسخر منه . ويلاحظ ان البيت الثانى ، يختلف صياغة ومعنى عن بيت كعب .. وكأنه يمهد به ليقول ان غناه ليس لاقتنائه فرسا عجوزا .. وانما هو غنى قبل ذلك لكثرة غاراته واحتيازه الكثير من المال من هذه الغارات .. وهو ما يوضحه البيت الأخير .

وعندما عاد عامر إلى قومه .. عزلوه عن رئاستهم وجعلوا علقمة بن علاثة رئيساً لهم ، وخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير .. وأرسل عامر إلى زيد الخيل من يخبره بخروجهم فجمع زيد قومه ، وتلاقوا بالمضيق ، فقاتلهم زيد ، فأسر الحطيئة وكعبا بن زهير وقوما منهم فحبسهم ، فلما طال عليهم الأسر ، وطلبوا الفداء ، جعل أمرهم إلى عامر بن الطفيل (ليرد له اعتباره بين قومه) إلا الحطيئة وكعبا .. فأعطاه كعب فرسه الكميت .. ولم يكن لدى الحطيئة ما يفدى به نفسه فتركه زيد .

ومن هذه الرواية نعلم أن كعبا هو نفسه الذى افتدى الأسر بفرسه الكميت .. ولكن هذه الرواية لا تنسجم كثيرا مع نغمة اللوم والتقريع التي تبدو غالبة فى قصيدة كعب ولو أنه هو الذى افتدى نفسه بفرسه ذاك لما أظهر كل هذا الجزع واللوم .

واننى لأميل إلى رواية تصرف أبيه زهير فى فدائه أو فداء أخيه بجير بذلك الفرس الفاره ، فقد اختار لزيد ما يجعله يسخو بفكاك ابنه أيا كان منهما .. فهو يعلم أن زيداً يحب الخيل ، كما يعلم أنه جسيم طويل ، لا يصلح له إلا فرس فاره .. فكان الكميت .

مع الحطيئة .

وقصة الحطيئة مع زيد الخيل ، تتلازم مع قصته مع بجير وكعب ابني زهير ابن أبي سلمى على النحو الذى سبق أن سردته .. إلا أن موقف زيد الخيل منه مختلف .. فالحطيئة شاعر فقير .. ولا مطمع من ورائه .. إلا الرغبة فى شعره أو اتقاء لسانه المقذع . وقد آثر زيد الخيل بحصافته أن يشترى حمده ..

ويبدو من الروايات أن زيداً غزا بني عامر ومن جاورهم من قبائل العرب من

قيس ، فلقي جمعاً من غني بن أعصر ، واخوتهم الحرث ، وهم الطفاوة ، وانتصر زيد وجماعته وأسر زيد الخيل يومئذ الحطيئة فجز ناصيته وأطلقه[1]

ولكن بني عامر ، عادوا فخرجوا للقاء زيد الخيل وقومه .. ومعهم الحطيئة .. الذى أسر أيضا ، ولكن زيداً يبدو أنه قد تشدد هذه المرة مع الحطيئة .. وطلب أن يفتدى الحطيئة نفسه بشيء .. ولا يغتر بكونه شاعرا .. ولكن الحطيئة لا يملك الا الشعر فكان هذا الحوار الشعري الطريف الذى يقول فيه زيد :

أَقـول لعبـدي جرول إذ أسرته ... اثبنـى ولا يغـررك أنـك شاعِرُ
أَنـا الفـارس الحامي الحقيقـة والذى ... له المكرمـات ، واللُّهـى ، والمآثر[2]
وقَوْمِى رؤوس الناسِ ، والـرَّأْس قَائدُ ... إِذ الحَـرْب شَبَّتْها الأَكُفُ المَساعِرُ
فَلسـتُ إذا ما الموتُ حُوذِرَ وِرْدُه ... وأُتْـرِعَ حَوْضَـاه ، وحَمَّـجَ .. نَاظِرُ[3]
بِوَقَّافـةٍ يَخْشَى الحتـوفَ تَهَيُباً ... يُباعِدنـى عَنْهـا مِنْ القُـبِّ ضَامِرُ[4]
ولكننـى أغشى الحتـوفَ بصعدتى ... مجاهـرة ، إِن الـكريم يُجَاهِرُ[5]
واروي سِنانـي من دِمـاءٍ عزيزةٍ ... على أَهْلِها ، إِذ لا تُرجى الأَياصِرُ[6]

فيجيب الحُطيئة ، مُعْرِباً عن أسفه ، فلا مال لديه ، ولكنه يستطيع أن يمتدحه بشعره لتقرير حقيقة مهمته فيقول : فإنك لم تأسرهم غدراً ولكنهم التقوا بك فى

---

(١) الأغانى ترجمة زيد الخيل

(٢) اللهى : الاموال ، او العطايا ، او افضل العطايا .. يراجع لسان العرب

(٣) التحميج : تحديد النظر ، او النظر بشدة .. يراجع لسان العرب .

(٤) القب من الخيل : جمع اقب : وهو الضامر ، والمعنى : لست بالجبان المحجم عن الموت ساعة الحرب ، فالتمس ما يبعدنى عنها ، فرارا على فرس ضامر

(٥) الصعدة : نوع من الرماح مستقيمة

(٦) الأياصر : الأواصر : (الديوان ص ٥٦)

حرب سافرة كنت فيها بطلا تتفاداك الأبطال ، كما تتوقى الطيور الوادعة الصقر المفترس ، فلا عجب أنْ كان النصر حليفك .. وان كنا ـ أقصد آل بدر ـ لم نجبن :

إلاَّ يكن مال يثاب .. فإنه سيأتي ثنائي زيداً .. ابن مُهلهِلِ
فما نلتنا غدراً .. ولكن صبحتنا غداة التقينا بالمضيق بأخيل
تفادى كماة الخيل من وقع رمحه تفادى خشاش الطير من وقع أجدل [١]
واعطتك منّا الود يوم لقيتنا ومن آل بدر وَقعة لم تهلل [٢]

وفيه قال الحطيئة ايضا :

وقعتَ بعبس ، ثم أنعمتَ فيهمُ ومن آل بدر قد أصبتَ الأخايرا
فان يشكروا ، فالشكر أدنى إلى التقى وإن يكفروا ، لا ألْف يا زيد كافرا
تركت المياه ، من تميم بلاقعاً بما قد ترى منهم حلولاً كراكرا [٣]
وحيٌّ سليم قد أثرت شريدهم ولا تنس ما قتّلت يا زيد عامرا

وكان أن رضي زيد الخيل عن الحطيئة ، وعفا عنه سواء أجزّ ناصيته .. كما هو فى دأب المنتصر .. أم لم يجزها .. وان لم يكن زيد فى حاجة الى أن يجز ناصية الحطيئة .. فما هو من زعماء القوم ولا سادتهم ولا فرسانهم المعدودين حتى ينكل به

---

(١) الكماة : الفرسان المدججون بالسلاح .. وخشاش الطير : أى الطير التى لا تصيد . الأجدل : الصقر .

(٢) التهليل هنا : النكوص والفرار . قال كعب بن زهير :

لا يقع الطعن إلا فى نحورهمو وماهم من حياض الموت تهليل

يراجع لسان العرب . فلعل الحطيئة يريد أن يقول : إنها وقعة حاسمة لا تراجع فيها ولا نكوص . وهذا البيت الأخير لم يورده صاحب الأغانى وهو من ديوان الحطيئة .

(٣) الحلول : الذين يحلون : أى المقيمون حول هذه المياه ، والكراكر : الجماعات أى تركت المياه والتى تحلها جماعات تميم بلا قعا منهم ، أى خالية .. وللحطيئة نفسه يمدح بشر بن قرط :

تصد مناكب الأعداء عنه كراكر من أبى بكر حلول

ديوان الحطيئة ص ٢٨ و ٨٣

.. ولعل دمامة الحطيئة ، وما وصف من قبحه لم تكن فى حاجة الى المزيد !

والمهم فى القصة أن الحطيئة التزم ـ تماما ـ بذلك الوعد الذى قطعه على نفسه حينما قال :

فان يشكروا ، فالشكر أدْنى إلى التُقى   وأن يكفروا ـ لا ألف يا زيد ـ كافرا

فقد وعد ألا يلفى ناكرا ليد زيد عليه .. فقد عاد إلى قومه ، من إساره ، وهو يثنى على زيد ويشكر نعمته .. وجاءت وقعة جديدة بين طيء وبني بدر ، فطلبت فزارة وأفناء قيس إلى شعراء العرب أن يهجوا بني لام وزيدا ، فتحامتهم شعراء العرب ، وامتنعت من هجائهم ، فعادوا إلى الحطيئة ، فأبى عليهم وقال : اطلبوا غيري فقد حقن دمي ، وأطلقنى بغير فداء ، فلست بكافر نعمته أبدا ، قالوا : نعطيك مئة ناقة .. قال : والله لو جعلتموها ألفا ما فعلت ذلك وقال :

كيف الهجاء ومـا تنفـك صَالحةٌ   من آل لام بِظَهـر الغَيبِ تأتينا

المُنْعِمـين أَقـام العِـز وسطهم   بيض الوجوه، وفى الهيجا مطاعينا (١)

مع طفيل الغنوي

ومما يتصل بقصته مع الحطيئة .. أو قصصه معه حربه لغني بن أعصر ، وإخوتهم الحرث ، وهم الطفاوة ، وفى غني فرسان وشعراء ، منهم الشاعر طفيل الغنوي (٢) الذى كان بينه وبين زيد الخيل سجال شعري .. فقد قال زيد الخيل :

---

(١) النص من الأغانى ترجمة زيد ، والمقصود بشعراء العرب ـ اى شعراء القبائل الموالية ـ وفى ديوان الحطيئة ص ٨٥ و٨٦ رواية اخرى تدل على أن الممدوح اوس بن حارثة الطائى ، أو ابنه زيد الخيل بن اوس بن حارثة الطائى ، وهو من بنى لام ، كما تختلف رواية الأبيات .. ومهما يكن الأمر فان الحطيئة قد امتنع عن هجاء طيء .

(٢) طفيل بن عوف بن كعب ، من بنى غني ، من قيس عيلان ، شاعر جاهلى فحل ، من الشجعان ، وهو أوصف العرب للخيل ، وربما سمى (طفيل الخيل) لكثرة وصفه لها ، ويسمى أيضا المحبِّر ، لتحسينه شعره توفى نحو ١٣ ق هـ كان معاوية يقول : خلوا لى طفيلا ، وقولوا ما شئتم فى غيره من الشعراء . الأعلام .

وخيبـــة من تجيب على غني   وباهلـــة بن أعصر والكلاب[1]

فلما دارت الدائرة ، فى وقعة تالية ، وانتصروا على طيئ فى أرضهم ، وغنموا وقتلوا ، وأدركوا ثأرهم ، لم يفت طفيلا الغنوي ، أن يرد على أبيات زيد ، فقال قصيدته :

سمونـــا بالجياد علـــى أعادٍ   مغـــاورةٍ ، بجـــدٍ واعتصاب
نؤمهـــم على رعـــب وشحط   بقـــود يطّلعـــن من النقاب

ويقول أبو الفرج إنها طويلة ، يقول فيها :

أخذنـــا بالمخطـــم مَنْ أتاهم   من الســـود المزنمـــة الرِعابِ[2]
وقتّلنـــا سَرَاتَهـــمُ جهارا   وجئنـــا بالسَبـــايا والنِهابِ
سبـــايا طيءٍ ، أُبْـــرزن قَسراً   وأُبْـــدِلنَ القُصـــورَ من الشِّعَابِ
سَبـــايا طيءٍ من كُلِّ حي   بمَـن فى الفـــرع منهـــا والنِصَابِ
ومـــاكانـــت بناتهـــمُ سبـــايا   ولا رغْبـــا يُعـــدّ من الرغاب
ولا كانـــت دماؤهـــمُ وفاء   لنـــا فيما يُعـــدّ من العِقابِ

---

(١) لعله يقصد أن يقول : يا خيبة من يغير على غنى وباهلة ، وهما ابنا أعصر (أخوان) .. فانه لا يجد لديهم فداء . والقطعة من بيتين أوردهما صانع الديوان هكذا :

فخيبـــة من يُغـــير على غني   وباهلـــة بن أعصر والركاب
وأدى الغنـــم من أدى قشيرا   ومـــن كانـــت له أسرى كلاب

(٢) المخطم : السيف الحاد ، ويراد بالسود المزنمة الرعاب : الابل الجيدة السمينة .

مع عامر بن الطفيل :

تأتي قصته مع عامر بن الطفيل[1] ، في قصة صديق زيد الخيل (ذؤاب بن عبد الله) وهو رجل من طيء - قوم زيد - خرج إلى صهر له من هوازن ، وبين طيء وهوازن وقائع وحروب ، فأصيب ذؤاب ، وهو رجل شريف له رياسة في حيّه ، فغضب زيد وركب مع بني نبهان ، ومن تبعه من ولد الغوث وأغار على بني عامر ، وجعل كلما أخذ أسيراً قال له : ألك علم بالطائي المقتول ؟ فان قال : نعم . قتله . وإن قال : لا ، خلّ سبيله ومنّ عليه .. وأصاب رجالا .. ثم رجع . فقال له قومه : ما صنعت ؟ قال : ما أصبت بثأر ذؤاب ، ولا يبوء به إلا عامر بن مالك ملاعب الأسنة . فأما عامر بن الطفيل فلا يبوء به ، (كأنه يقلل من شأنه) وقال زيد الخيل في هذه المناسبة :

لا أرى أن بالقتيل قتيلاً .. عامريًّا يفي بقتل ذؤابِ
ليس من لاعب الأسنة في النـ ـقع ، وسمى ملاعبا بأرابى
عامرٌ ليس عامرَ بن طفيلٍ لكن العمر رأس حي كلاب
ذاك إن ألقه أنال به الوِ تر ، وقرت به عيون الصحاب
أو يفتني ، فقد سبقت بوتر مذ حجي ، وجد قومي كئابِ
قد تقنصت للضباب رجالاً وتكرمت من دماء الضباب
وأَصبْنا من الوحيد رِجالاً ونفيل فما أساغوا شرابي

---

(١) هو أبو علي ، فهذه كنيته ، وان لم يكن له ولد ، فقد كان عقيماً ، عمه عامر بن مالك توفى بالسنة العاشرة أو الحادية عشرة من الهجرة ، وفد على النبى يريد الغدر به ولم يسلم ، فقد مات بالطاعون فى طريقه إلى بلده ، وكان من فتاك العرب وسادتهم وهو من بني عامر بن صعصعة ، له ديوان شعر مطبوع . يراجع الاعلام ، ومقدمة ديوانه طبعة دار صادر ودار بيروت .

فلما بلغت هذه الأبيات ، عامر بن الطفيل ، وفيها تعريض به ، وتقليل لمكانته غضب وقال يجيبه :

قُل لزِيد ، قَدْ كُنــتَ تؤثــر بالحِلـ ـم إذا سَفِهــتْ حلُــومُ الرِجَالِ

ليس هذا القتيل من سلَفِ الحـ ـي كلاع ، ويحصــب وكلالِ[1]

اوبنــي آكل المرار ، ولا صيـ ـد بني جفنــة الملــوك الطوال[2]

وابــن ماء السَماء قَد عَلَّــم النا سَ ، ولا خـير فى مَقَالــة غَالى[3]

إن فى قَتْــلِ عَامــرٍ بن طفيل لبــواءً لطــئ الأجيالِ[4]

إننــى ، والــذى يحــج له النا س ، قليلٌ فى عامــر أمثالى

يوم لا مال للمُحــاربِ فى الحرَ بِ ، سوى نَصْــل أسمر عسال[5]

ولجــامٍ فى رأس أجــردَ كالجذ ع ، طُوالٍ ، وابيض قصال[6]

ودلاص ، كالنِّهْــيِ ذات فضول ذاك فى حَلْبَــةِ الحــوادث مالى[7]

ولعمــى فضــل الرياســة والسِّـ ـن ، وجــد على هوازن عالى

غــير أنــى أوْلىَ هوازن فى الحر ب ، بضرب المتــوّج المختال

---

(١) اى ليس هذا القتيل ، الذى غضبت لاجله كل هذا الغضب ، من سلالة الملوك الحميريين ذى الكلاع ويحصب وعبد كلال .

(٢) ولا هو من ملوك كندة من بنى آكل المرار ، جدّ امريء القيس الكندي الشاعر ولا من بني جفنة : اى الملوك الغساسنة .

(٣) ولا هو ايضا من ملوك الحيرة : من آل ابن ماء السماء

(٤) أى اذا أردت أن تقتلنى ، فستبوء بالجريرة طئ كلها .. أى ستنتقم قبيلتى منها وكأنه يشير إلى أنه يعدل قبيلته كلها . ويؤكد هذا بالأبيات التالية التى يعدد فيها مفاخره ومآثره .

(٥) يريد بالاسمر العسال : الرمح ، الذى يشتهر باستعماله فى الحروب .

(٦) يريد بالاجرد الطويل : الفرس الأصيل ، كما يريد بالأبيض القصال أو الصقال : السيف .

(٧) **الدلاص : الدرع الملساء اللينة ، والنِّهي : الغدير ، أى درع تلمع كمياه الغدير .**

وبَطعَــن الكمــي فى حمس النقـ ـع ، على متْــن هَيكل جَوَالِ[1]

وكما نرى فإن عامر بن الطفيل ، يقول فى قصيدته لزيد الخيل : اننى جدير بتحدّيك لو فعلت ، فاننى الكفء الذى أمثاله قليل ، ولو أنك قتلتنى فستظل أجيال طيء تدفع ثمن هذه الفعلة دماً مهراقا .. صحيح أن لعمي عامر بن مالك مكانته .. فهو صاحب الرياسة فى قومه .. وأكبر سنا ، لكننى أوْلى منه بالتحدى .. والصمود فى الحرب ، وكأنه يقول ؛ اننى اكثر شجاعـة .. وهـو بذلك يرد على الأبيات الاولى من قصيدة زيد[2]

* * *

ويسوق صاحب الاغاني قصة اخرى لزيد مع عامر بن الطفيل فيقـول : خرج زيد الخيل يطلب نعماً له من بني بدر ، وأغار عامر بن الطفيل على بني فزارة ، فأخذ امرأة يقال لها هند ، واستاق نعماً لهم ، فقالت بنو بدر لزيد : ما كنا قط إلى نعمك أحوج منا اليوم ، فتبعه زيد الخيل ، وقد مضى عامر .. فأدركه زيد الخيل ، فنظر الى عامر فأنكره لعظمه وجماله ، وغشيه زيد فبرز له عامر فقال :

يا عامر .. خل سبيل الظعينة والنعم . فقال عامر : من أنت ؟ قال فزاري أنا قال : والله ما أنت من الفلح أفواها !! فقال زيد : خل عنها . قال : لا .. أو تخبرني من أنت ؟ قال : أسدي . قال : لا والله ما أنت من المتكورين على ظهور الخيل . قال : خل سبيلها . قال : لا والله .. أوتخبرنى .. فأصدقنى . قال : أنا زيد الخيل . قال : صدقت .. فما تريد من قتالي ، فوالله لئن قتلتنى لتطلبنّك بنو

---

(١) الكمي : المحارب المستعد بسلاحه . وحمس النقع : اشتداد المعركة . وهيكل : اى جواد فاره . جوال : كثير الجولات والحركة مدرب على المعارك .

(٢) القدمة من الاغانى ترجمة زيد الخيل ، مع الاستعانة بديوان عامر بن الطفيل وشرحه .

عامر ، ولتذهبن فزارة بالذكر . فقال له زيد : خلّ عنها . قال : تخلِّ عنى وأدعك والظعينة والنعم .. قال : فاستأسر .. قال : أفعل[١] فجزّ ناصيته ، وأخذ رمحه وأخذ هندًا والنعم فردها الى بني بدر ، وقال فى ذلك :

إنـا لنُكْثِـر فى قَيْس وقائعنا	وفى تميم ، وهـذا الحـي من أَسدِ
وعامـرُ بن طفيل ، قد نحـوت له	صدرَ القنـاة بمـاضي الحـد مُطَرِد[٢]
لما احسّ بأن الـورد مدركُه	وصارمـاً ، وربيط الجـأش ذا لُبد[٣]
نادى إليّ بسلـم بعـد ما أخذت	منـه المنية ، بالحيزوم واللغَدِ[٤]
ولـو تصبّـر لى حتـى أخالطه	أسعرتـه طَعْنَـةً كالنـار بالزند

قال : فانطلق عامر إلى قومه مجزوزاً .. وأخبرهم الخبر .. وغضبوا لذلك وقالوا : لا ترأسنا أبداً .. وتجهزوا ليغيروا على طيء ، ورأسوا عليهم ، علقمة بن عُلاثة .. فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير ، فبعث عامر إلى زيد الخيل دسيسا ينذره فجمع زيد قومه ، فلقيهم بالمضيق ، فقاتلهم ، فأسر الحطيئة وكعبا بن زهير وقوما منهم ، فحبسهم .. فلما طال عليهم الأسر ، قالوا : يا زيد فادنا .. قال : الأمر إلى عامر بن الطفيل (يريد أن يرد اعتباره ، كما نعبر اليوم) فأبوا ذلك عليه ، فوهبهم لعامر ، الا الحطيئة وكعبا .. فأعطاه كعب فرسه الكميت ، وشكا اليه الحطيئة الحاجة فمنّ عليه ..

---

(١) لا أظن أن فارسا شجاعا مثل عامر بن الطفيل يستأسر بهذه السهولة دونما حرب ولا نزال .. المصدر : الأغاني ترجمة زيد الخيل .

(٢) نحوت له : وجهت اليه ، ويقصد بقوله ماضى الحد مطرد : السنان الحاد النافذ . وهذا يؤيد انهما تنازلا ..

(٣) الورد : أحد أفراس زيد المسماة المشهورة ، ولعله يقصد نفسه بقوله : ربيط الجأش ذا لبد ....

(٤) أى نادى يستأسر بعد أن أحسّ أن المنية وصلت الى الحيزوم واللغد . والحيزوم : موضع الحِزام ، واللغدة .. ما بين الحنك والعنق . اى ان الموت وصل الى المقاتل ، أماكن الطعن .

وهكذا نعلم أن العلاقات التى كانت متوترة بين الرجلين البطلين : زيد ، وعامر ابن الطَفيل عادت إلى الهدنة .. والصفاء .. ولكن يبدو الى حين .. فقد كان زيد الخيل إلى يوم وفاته يخشى ثأرات قيس .. ويطلب من أصحابه أن يجنبوه ديار قيس عند قفوله إلى دياره ، بعد وفادته على رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

مع الحارث بن ظالم :

وهذا معاصرآخر شهير من معاصري زيد الخيل .. هو الحارث بن ظالم المُري (توفى نحو ٦٠٠ م) ، وهوأبو ليلى ، أشهر فتاك العرب ، كثير الحوادث ، تتحامى أحياء العرب شره ، وكان سببا فى نشوب معارك كثيرة[١]

يخبرنا صاحب الأغاني ، فى ترجمة زيد ، أنه لما بلغه ما كان من الحارث ابن ظالم وعمرو بن الاطنابة الخزرجى[٢] ، وهجائه اياه ، غضب ، فأغار على بني مرة بن غطفان فأسر الحارث بن ظالم وامرأته فى غارته ، ثم منّ عليهما وقال يذكر ذلك :

ألا .. هَل أتى غَوثاً ورَومَان اننا ... صَبَحنا بني ذُبيانَ احدى العَظَائِمِ
وسُقْنا نِساء الحي ، مرةَ ، بالقنا ... وبالخَيل تَردْى ِ قد حَوَينا ابنَ ظَالم[٣]

---

(١) الاعلام للزركلي . ترجمته ، وبلوغ الأرب للألوسى ، فقد تحدث عنه فى أوفياء العرب ج ٢ ص ١٣٣ طبعة دار الكتاب العربي ، وسرد صاحب الأغاني طرفاً من أخباره عند ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب ص ٩٤ من ج ١١ طبعة دار الكتب ، وبعده خبر ابن الإطنابه .

(٢) شاعر جاهلي فارس ، والاطنابة أمه ، كانت إقامته بالمدينة وهو صاحب الأبيات المشهورة :

أبت لى عفتى وأبى إبائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

الاعلام : ترجمته فى (عمرو بن عامر) .

(٣) يقول سقنا نساء الحي من مرة ، بالقنا (الرماح) وبالخيل تردى : ردى الفرس اذا رجم الارض رجماً بين العدو والمشي الشديد ، وابن ظالم هو الحارث وبنو مرة قومه .

جنيبـاً لا عَضـاد النَواجـى يَقدنه ... على تَعب .. بين النواجِى الرواسمِ [1]

يقـول : اقبلـوا منـى الفـدَاء وأنعموا ... عليَّ ، وجُزونـى مَكان القوادم [2]

وقـد مسّ حد الرمـح قوارة ... فصارت كشدق الأعلـم المتضاجمِ [3]

وسائل بنا جار ابـن عوف فقـد رأى ... حليلتـه جالـت عليهـا مقاسمى

تلاعـب وحـدان العضـاريط بعدما ... جَلاهـا بسَـهمِيه لقَيط بن حازم [4]

اغرك أن قيل ، ابـن عوف ولا أرى ... عزيمـك الا واهياً فى العزائم

غَداةَ سبينـا من خَفَاجـة سبيها ... ومَـرتْ لهـم مِنـا نُحُـوسُ الأشائم

فمـن مبلـغ عنـى الخـزارج غارة ... على حي عوف ، موجفا غير نائم [5]

مع حاتم الطائي

وعاصر زيد الخيل ، حاتماً الطائي ، الذى يضرب به المثل فى الكرم ، فنجده يذكره فى أَبيات ثلاثة ، معيراً إياه ، لأنه خرج ، من طيء يوم حرب الفساد إلى بنى بدر[6]

وفر من الحـرب العوان ـ ولـم يكن ... بهـا ـ حاتـم ، طِبـاً ولا متطببا

وريب حصنـا ، بعـد أن كان آبيا ... أبـوة حصـن ، فاستقـال وأعتبا

---

(١) الجنيب : الذى يقاد بجنب الركائب اذلالاً له ، كأنه فى عداد النواجى الرواسم اى النوق الموسومة .

(٢) أي قبل أن تجز ناصيته ، اى شعر مقدمة رأسه ، وذلك عندهم سبة ، وعلامة الهزيمة ، والمقصود بالقوادم : النواصى .

(٣) الاعلَم : المشقوق الشفة العليا ، ويطلق على الجمل ، المتضاجم : الذى مال شدقه ، وهو فى هذا يشبه الجرح الذى أصابه الرمح .

(٤) العضاريط : يراد بهم الخدم والاتباع .

(٥) الوجف : سرعة السير ، والايجاف : السير إلى الحرب .. قال تعالى (فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) والخزارج : قوم عمرو بن الاطنابة ، الخبر والشعر من الأغاني ج ١٧ ص ٢٦١ طبعة دار الكتب .

(٦) الخبر والأبيات من الحيوان ص ٣٢٩ ج ١

أقـــمْ فى بنـــي بدر ولا ما يهمنا   اذا ما تقضـت حربنـا أن تطربا[1]

ويأتى اسم زيد الخيل فى سياق قصة خطبة ماوية بنت حجر بن النعمان ، التى كانت تقيم فى دمشق ، وكان يتنافس على خطبتها زعماء العرب ومشاهير رجالهم ، وقد وردت القصة موجزة فى تهذيب ابن عساكر فى ترجمة أوس بن حارثة الطائي ، واقترن اسم زيد الخيل فيها بحاتم الطائي ، بالاضافـة الى أوس ، فقـد جاء ثلاثتهم يخطبونها فسألت عن أكبرهـم ، ثم من يليه ، فمـن يليه ، فكان أوس أكبرهم ، ويليه زيد ، ثم حاتم[2].

وقد تختلف الروايات فى قصة ماوية ، وهل أبوها حجر ، او عفزر ، فان كل ذلك محله تاريخ حاتم لا زيد .. ويكفى من هذه القصة ، أن نعرف ـ فى حالة صحة ما أوردته منها ـ أن زيدا كان يعاصر حاتماً ، وان كان حاتم أصغر سنا منه[3]

ونجد فى خبر وفادة زيد على مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، انه فى محاورة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يصف حاتما ، فيقول : الجواد بلا مجارٍ والسمح بلا مبارٍ ، والليث الضرغامة ، قراع كل هامة ، جوده فى الناس علامة[4]

وفى رواية اخرى يقول له عمر بن الخطاب :

ـ يا زيد .. ما أظن فى طيء أفضل منك. قال :

ـ بلى والله .. ان فينا حاتماً ، القاري للأضياف ، والطويل العفاف[5]

---

(١) النص من كتاب الحيوان ص ٣٢٩ ج ١ والأبيات مثبتة فى ديوانه

(٢) الجزء ٣ ص ١٥٧ من تهذيب ابن عساكر فيه ـ مطبعة روضة الشام سنة ١٣٣١هـ

(٣) لمعرفة زيد من اخبار حاتم وماوية ، يراجع ديوان حاتم ، صنعة يحى بن مدرك الطائي ، رواية هشام بن الكلبي ـ تحقيق د . عادل سليمان جمال ص ١١ وص ٣٣٢ وما بعدها و٣٣٥ وما بعدها .

(٤) الأغاني ص ٩٦ ج ١٦ ترجمة زيد .

(٥) تهذيب ابن عساكر ترجمة زيد .

ومما جاء فى معاركه ، أنه حينما وقعت حرب بين أخلاط من طئ ، خرج عن قومه مغضبا وجاور بني تميم ، نازلاً لدى قيس بن عاصم .. وحينما التحمت بنو تميم مع بكر بن وائل فى معركة ، وعلى رأس تميم قيس بن عاصم ، وقف زيد مع صديقه قيس ، وانتصرت تميم ، وكان لاشتراك زيد دور فى النصر ، فلما رجع قيس بالغنائم ، تطلع زيد إلى نصيبه منها ولكن قَيْسا تَجَاهل الأَمر .. فغضب زيد وقال :

ألا هَل أَتاهــا ، والأَحــادِيثُ جَمَّةٌ   مُغَلْغَلــة ، أَنبــاء جيش اللَهَازِمِ

فلســتُ بوقَــافٍ إِذا الخيلُ أَحجمتْ   ولســتُ بِكَذابِ كَقَيْسِ بن عَاصِمِ

تخبــر من لاقيت أن قد هزمتهم   ولــم تدر ، ما سِيماَ همــو والعمائمِ

بل الفــارس الطائــى فضّ جموعهم   ومــكةَ والبيتِ الــذى عِنْــد هَاشِمِ

إِذا ما دعــوا عجــلاً عجلنــا عليهم   بمأثــورة تشْفــى صُدَاع الجَماجِمِ

فلما بلغت هذه الأبيات المكشر بن حنظلة العجلي ، أحد بني سنان ، غضب وخرج مع أناس من قومه .. حتى أغار على بني نبهان قوم زيد ، وأخذ من نعمهم ما شاء ثم بلغ ذلك زيد الخيل ، فخرج على فرسه ، فى فوارس من نبهان ، حتى لحق بمكشر وجماعته ، فاعترضهم ، وقال لمكشر :

ـ مالى ولك يا مكشر ؟.

فقال : قولك : اذا ما دعوا عجلاً عجلنا عليهم .

فقاتلهم زيد حتى استنفد بعض ما كان فى أيديهم ، ورجع المكشر بالبعض الآخر .

ثم كان أن أغار على بني تيم اللات بن ثعلبة ، فغنم وسبى وقال فى ذلك :

اذا عركت عجــل بنــا ذَنْــبَ غيرنا   عركنا بتيم اللات ذنـب بنـي عجل

مع ابن شيماء :

وجاء في أخباره ، تبادله الهجاء ، مع ابن شيماء ، وهو شاعر جاهلي اسمه ، (جبلة بن مالك بن كلثوم) من بني شمجى بن جرم[1] من طيء ، ويبدو من شعر زيد الخيل أن ابن شيماء بدأه بالهجاء ، أو الشر ، إذ يقول :

ونبئت أن ابنا لشيماء ها هنا ... تغنّى بنا ، سكران أو متساكرا
يحض علينا (عامرا) وإخالنا ... سنصبح ألفاً ، ذا زوائد (عامرا)
لعمرك ما أخشى التصعلك ما بقى ... على الأرض قيسي يسوق الأباعرا
وان حوالى فردة فعناصر ... وكتلة ، حيا يا ابن شيما كراكرا
ونحن ملأنا جوَّ موقق بعدكم ... بني شمجي ، خطيةً وحوافرا[2]

وقد أضاف الأستاذ حمد الجاسر بيتا الى الأبيات ، وهو قول زيد يعير ابن شيماء بأمه :

إذا المرء صرّت أمه وتقيلت ... فليس حقيقاً أن يقول الهواجرا[3]

(١) ياقوت في معجم البلدان مادة الموفق .

(٢) الأبيات من الديوان ص ٦٢ و٦٣ . والمعنى : أن ابنا لشيماء ، ذكرنا بسوء ، وحضّ على قتالنا أعداءنا عامراً (من قيس) ، ولكننا سنحشد لهم ألفا ، أو تزيد وانني لا أخشى الحاجة والفقر ، ما بقى على الأرض قيسى يسوق أباعره .. لأننا سنستولى عليها ، فان فى بلادنا حول فردة وعناصر وكتلة ، حيا كراكرا أى غنيا بالخيل ، يملأ الجو فى موقق ، بالرماح الخطية والحوافر (الخيل) . وفردة سبق الكلام عليها ، وهى الموضع الذى مات به زيد الخيل ، فى بلاد طيء اما عناصر : فيقول عنها الشيخ حمد الجاسر فى المعجم الجغرافى (شمال المملكة) انها بضم العين وهو موضع (يظهر أنه بقرب فردة) وكذلك كتلة : موضع يقول عنه : يظهر انه بقرب فردة غرب موقق أما موقق ، فقد جاء فى الديوان مصحفا الى موفق بالفاء الموحدة وقال صانع الديوان انه من بلاد عامر . والصحيح انه بقافين ضبطها صاحب المعجم الجغرافى (شمال المملكة) بالميم المفتوحة والواو الساكنة مع فتح القاف الأولى ، وقال انها تقع فى سفح أجا من الناحية الغربية غرب قفار وتبعد عن حائل ٧٥ كيلو مترا غربا . اما شمجى : فهو شمجى بن جَرم من طيء .

(٣) مجلة العرب ج ٧ و٨ محرم وصفر ١٣٩٥ هـ السنة التاسعة وفيه بيان مصادره

ودلنا على ما أجاب به ابن شماء ، نقلاً عن معجم البلدان ، مادة (موقق) وهو قوله :

ما ان ملأتم جو موقق بعدنا ولا جئتها الا غريبا مجاورا
مجاور جيران ، أسأت جوارهم فألفوك مشئوم النقيبة ، فاجرا
ورثت من اللخناء (قوشة) غدرةً و .. قد كان قبلك خادرا

وقوشة هى (أم زيد الخيل)[1]

مع بجير بن أوس

وممن وقعت المهاجاة بينه وبين زيد الخيل ، الشاعر الجاهلي .. بجير بن أوس الطائي .. فقد روى صاحب (تاج العروس) فى مادة (قوش) قوله : وقوشة بنت الأثرم الكلبية ، من بني تيم اللات بن رفيدة أم زيد الخيل .. ثم قال :

« قال بجير بن أوس الطائي يرد عليه (أى على زيد الخيل) :

تمنيت أن تلقى بجيراً سفاهةً فلاقيته ، يعدو به الورد مُعلما
فألفيت مربوعاً ، كما قلت ، مأزماً ووليت يا زيد بن قوشة معدما[2]

ولا نعلم شيئا عن قصة مهاجاتهما .. اما بجير هذا فهو ابن اوس بن حارثة ابن لام الطائي ، وفى إسلامه نظر[3] وقد رأس قومه ، ويكنى ابا الجاه .

وأبوه أوس بن حارثة من أرباب الرياسة فى قومه .

---

(١) نفس المصدر ويراجع معجم البلدان مادة (موقق)

(٢) فى القاموس وشرحه التاج ، ما يدل على أن لفظ (قوش) هو الرجل صغير الجثة ، وهو معرب من لفظ (كوجك) الفارسى ، ورجل قوش : أى قليل اللحم ضئيل الجسم معرب .. قلت : وفيما أعلم ان (لفظ قوش) الآن بالفارسية تعنى اللحم ، وان كلمة كوجك او كوشك تعنى صغير .

(٣) الاستيعاب : حرف الباء (باب بجير) وفى الاصابة ترجيح عدم إسلامه وصحبته وبيان الوهم فى ذلك .

فصاحته .. ونثره

اما فصاحته ، فذلك أمر بدهي فى شاعر فارس ، مقدم فى قومه ، مرموق المكانة عظيمها ..

ولقد كان مما وصف به قدرته على الخطابة ولسنه .. فقد قيل عنه : « كان شاعراً محسنا ، خطيبا لسنا ، شجاعاً بهمة ، كريما »[١]

بيد أن أخباره القليلة التى وصلت الينا لا نجد فيها نماذج كافية من نثره الخطابي ولعل أطول نص ، هو ذلك الذى نقله الينا صاحب الأغاني ، يصف فيها زيد الخير رؤس قومه فى طيئ ، ومكانتهم وما تميز به كل رئيس من صفات . يقول النص[٢] :

« ودخل زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده عمر رضي الله عنه ، فقال عمر لزيد : أخبرنا يا أبا مُكنِف عن طيئ وملوكها نجدتها ، وأصحاب مرابعها .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ص ٣٥ ج ١٧ . والبُهمة : بالضم : الشجاع ، أو الفارس الذى لا يدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه والجمع : بهم . (لسان العرب)

(٢) الأغاني : ترجمة زيد الخيل .

فقال زيد : فى كل ـ يا عمر ـ نجدة وبأس وسيادة ، ولكل رجل من حيه مرباع ، أما بنو حية فملوكنا وملوك غيرنا ، وهم القداميس[1] القادة ، والحماة الزادة ، والانجاد السادة أعظمنا خميسا[2] ، وأكرمنا رئيسًا ، واجملنا مجالس ، وأنجدنا فوارس ،

فقال له عمر ، رضي الله عنه : ما تركت لمن بقى من طيء شيئا . فقال : بلى والله أما بنوُ ثَعل ، وبنو نبهان ، وجَرم ، ففوارس العدوة وطلاعو نجوة ، ولا تحل لهم حبوة ، ولا تراع لهم ندوة ، ولا تدرك لهم نبوة ، عمود البلاد ، وحية كل واد ، وأهل الأسل الحداد ، والخيل الجياد ، والطارف والتلاد .

وأما بنو جديلة ، فأسهلنا قرارا ، وأعظمنا أخطارا ، وأطلبنا للأوتار ، وأحمانا للذمار ، وأطعمنا للجار .

فقال له عمر : سمّ لنا هؤلاء الملوك .

قال : نعم : منهم عفير المجير على الملوك ، وعمرو المفاخر ، ويزيد شارب الدماء ، والغَمْر ذو الجود ، ومجير الجراد ، وسراج كل ظلام ولامة ، وملحم ابن حنظلة ، هؤلاء كلهم من بني حية .

وأما حاتم بن عبد الله الثُعليُّ ، الجواد فلا يجارى ، والسمح فلا يبارى ، والليث الضرغامة ، قرّاع كل هامة ، جوده فى الناس علامة ، لا يقر على ظُلامة .

فاعترض رجل من بني ثعل ، لما مدح زيد حاتماً ، فقال : ومنا زيد بن مُهَلْهِل النبهاني رئيس قومه ، وسيد الشيب والشبان ، وسمّ الفرسان ، وآفة الأقران ، والمهيب بكل مكان ، أسرع إلى الايمان ، وآمن بالفرقان رئيس قومه فى الجاهلية ،

---

(١) جمع قدموس وهو السيد

(٢) الخميس : الجيش

وقائدهم الى أعدائهم ، على شحط المزار ، وطموس الآثار ، وفى الاسلام رائدنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومجيبه من غير تلعثم ولا تلبث ..

ومنا زيد[1] بن سدوس النبهاني ، عصمة الجيران ، والغيث بكل أوان ، ومضرم النيران ومطعم الندمان ، وفخر كل يمان . ومنا الأسد الرهيص ، سيد بني جديلة ، ومدوخ كل قبيلة ، قاتل عنترة فارس بني عبس ، ومكشف كل لبس .[2]

فقال عمر لزيد الخيل : لله درك يا أبا مُكنِف ، فلو لم يكن لطيء غيرك وغير عدي بن حاتم لقهرت بكما العرب ..

هذه هى رواية الأغاني[3] ... وللقارىء الفاحص أن يقف عندها متأمِّلاً ، فسيجد فيها على سبيل المثال :

(١) ان الرواية منقولة عن ابن الكلبي .. وفى ما يرويه ابن الكلبي نظر .

(٢) ان الرواية تنقطع عند ابن الكلبي ، فالسند غير متصل .

(٣) ان النص طويل ومسجوع ، واستيعابه على طوله وسجعاته ، أمر يدعو للتأمل .

(٤) ان أسلوب السجع يبدو أسلوبا مفتعلا ، وكأنما صيغ ليناسب القصص والحكايات .

(٥) انه يبدو من الاسراف فى المديح لبعض رجالات طيء ، أن فى النص تزيداً .

---

(١) يبدو ان المقصود هو زرّ بن سدوس ، أحد أعضاء الوفد ، أوهو وزر بن سدوس الذى رفض الاسلام . والفقرة استئناف لكلام زيد الخير ، بعد ان قاطعه الرجل الثعلي ليثنى عليه .

(٢) لم يرد اسمه فى النص

(٣) ترجمة زيد الخيل

على أن هذا لا يعنى الشك فى القصة من أساسها ، ولكن يعنى احتمال المبالغة فى روايتها . فاذا ذهبنا نلتمس لهذه القصة رواية أخرى ، وجدنا فى تهذيب ابن عساكر فى ترجمة زيد(٤) ما يلى :

أخرج الحافظ والخطيب عن عدي قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى اخر الجاهلية ، وأول الاسلام ، فاستقدم زيد الخيل ، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فقال : تقدم يا زيد فما رأيتك حتى أحببت أن أراك ، فتقدم فشهد شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله .

ثم تكلم فقال له عمر بن الخطاب :

- يا زيد ما أظن فى طىء أفضل منك . قال : بلى والله .. إن فيناحاتما القاري للأضياف ، والطويل العفاف .

قال : فما تركت لمن بقى خيرا ..

قال : إن منا لمغزوم بن حومة الشجاع صدرا ، النافذ فينا أمرا ..

قال : فما تركت لمن بقى خيرا .

قال : بلى والله .

وهذا النص ، وهو موجز - إن لم يكن مختصرا من أصل طويل - يبدو معقولا لقصره ووجازته .. الأمر الذى يعين على سلامة حفظه وروايته وتداوله .. وهذا النص يعضد النص الأول إلى حد ما .. وبالتالى يصح أن يعطى صورة من نثر زيد الخير أو فصاحته وقدرته على البيان .

على أننا نجد فى أخبار زيد الخير ، رضي الله عنه نصوصا نثرية أخرى لا تدل فقط على نثره الفني ، وإنما تدل - أيضا - على صور بارعة فى ذلك النثر ، ولكنها

---

(١) ص ٣٤ ج ٦ تهذيب ابن عساكر ١٧ مطبعة الترقى بدمشق .

من الضآلة على حد بعيد .

من ذلك قوله : يا رسول الله ـ إنى قد اتيتك من مسيرة تسع .. أنصبت راحلتي وأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، لأسألك عن خصلتين أسهرتاني[1]

فاننا نجد فى هذا النص على وجازته تلك القدرة البيانية التصويرية التى أوردها هذا الصحابي الشاعر .. وليتصور القارئ ، كيف سهر الليل ؟ بل كيف أسهر زيد الليل معه !! او كيف ظمئ النهار ...بل كيف أظمأه معه .. ثم ليتأمل هذه الصور المَتلاحقة .. التى تأتى تباعاً ، وفى إيجاز بليغ .. تصوير المسافة وانها من مسيرة تسع ليال .. وان الراحلة فيها قد أجهدت لتوالى السفر ، وسهر الليل ، وظمأ النهار .. وانه فعل كل ذلك لأن هناك سؤالا ملحًّا بل سؤالين ملحين يسهرانه .. ويشغلان خاطره .. هما : أسألك عن علامة الله فيمن يريده وعلامته فيمن لا يريده .. ومثل هذا السؤال يلخص أهم ما يشغل المؤمن الذى خلص إيمانه فى حياته .. بل هى لباب الايمان ، إنها دلائل القبول والرضا لئلا يذهب عمل المؤمن سدى .. وليعلم ، أعلى ضلال هو أم على هدى ؟ وهذه حصافة بالغة .. فى عبارة بليغة ..

ولنر أيضا خطبته حينما قدم فى وفادته بين وجهاء قومه .. أمام رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وحول الرسول صحابته وكبار المهاجرين والأنصار ..

ها هو يقول للرسول : الحمد لله الذى أيدنا بك ، وعصم لنا ديننا بك ، فما رأيت أخلاقاً أحسن من أخلاق تدعو إليها .. وقد كنت أعجب لعقولنا واتباعنا حجراً نعبده يسقط منا فنظل نطلبه[1] .

---

(١) مهذب تاريخ ابن عساكر ص ٣٥ ج ٦ طبعة الترقى بدمشق . وسبق ايراد النص كاملا .

(٢) المصدر السابق .

هذه رواية من خطبة وفادته ، وتلك رواية أخرى .. وربما كانا من خطبة واحدة وهى أيضا تدل على وجازتها على براعته ، وبلاغته .. وبعد نظره .. حينما قارن بين ضلال الجاهلية .. وضياء الاسلام .. الذى أزال عن قومه غشاء الجهالة العمياء .

ثبت بالمصادر والمراجع *

- أمالي ابن الشجري ـ هبة الله بن علي أبو السعادات
- أُسد الغابة ـ ابن الاثير ـ المطبعة الاسلامية/طهران
- بلوغ الأرب ـ الألوسي ـ مطبعة دار الكتاب العربي
- البيزرة ـ تعليق محمد كرد علي ـ طبع المجمع العلمي العربي/ دمشق
- تهذيب تاريخ ابن عساكر ـ عبد القادر الدومي ـ مطبعة الترقي بدمشق
- تاج العروس ـ الزبيدي
- تاريخ آداب اللغة العربية ـ جورجي زيدان ـ مطبعة دار الهلال **١٩٥٧** م
- تاريخ الأدب العربي « الأدب القديم » ـ د. عمر فرُّوخ ـ دار العلم للملايين
- تاريخ الطبري ـ محمد بن جرير الطبري جـ **٢** ـ مطبعة الاستقامة **١٣٥٧** هـ ـ **١٩٣٩** م
- تاريخ خليفة بن الخياط ـ تحقيق أكرم ضياء العمري ـ طبع **النجف** **١٣٨٦** هـ ـ **١٩٦٧** م

---

* يلاحظ انني كثيراً ما استغنى عن ايراد اسماء بعض المصادر لتطابقها مع غيرها في الرواية فيسد بعضها عن بعضها الآخر .

● التصريح بمضمون التوضيح ـ الشيخ خالد

● ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ـ الثعالبي أبو منصور/ تحقيق ـ محمد أبو الفضل ابراهيم ـ دار النهضة/ مصر ١٩٦٧ م

● جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم ـ تحقيق محمد عبد السلام هارون ـ دار المعارف/ مصر

● حِلية الفرسان وشعار الشجعان ـ علي بن هذيل الأندلسي ـ تحقيق محمد عبد الغني حسن ـ دار المعارف/ مصر

● الحيوان ـ الجاحظ ـ تحقيق محمد عبد السلام هارون ـ الطبعة الثالثة ـ مكتبة البابي الحلبي/ مصر

● خزانة الأدب ـ عبد القادر البغدادي ـ طبعة مصورة فى بيروت

● الخصائص ـ ابن جنّي

● ديوان سلامة بن جندل ـ تحقيق فخر الدين قباوة ـ طبع حلب

● ديوان الحطيئة ـ بشرح ابن السكّيت تحقيق نعمان أمين طه ـ مطبعة البابي الحلبي/ مصر

● ديوان حاتم الطائي ـ برواية هشام الكلبي صنعة يحيى مدرك دراسة د . عادل سليمان جمال ـ مطبعة المدني ١٩٧٥ م

● ديوان عامر بن الطفيل ـ دار صادر/ بيروت ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م

● الدرر اللوامع

● ذيل الأمالي والنوادر ـ أبو على القالي ـ طبعة دار الكتب المصرية

● الروض الأنُف ـ السُّهيلي ـ تعليق طه عبد الرؤوف سعد

● رغبة الآمل من كتاب الكامل ـ سيد بن على المرصفي ـ ط الثانية ـ ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م
● زاد المعاد ـ ابن قيم الجوزية ـ مراجعة عبد الرؤوف/ مصر ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م
● سمط اللآلئ ـ أبو على القالي ـ تحقيق عبد العزيز الميمني ـ مطبعة لجنة التأليف والنشر ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٦ م
● الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ـ يوسف عبد البر ـ تحقيق محمد علي البجاوي
● الأغاني ـ ابو الفرج الاصفهاني ـ طبعة دار الجيل/ مكتبة الحياة
● شرح ديوان كعب بن زهير ـ صنعة ابى سعيد السكّري ـ دار الكتب المصرية
● شرح شواهد العيني
بهامش الخزانة ـ العيني محمود
● شرح الأشموني على الفية ابن مالك ـ الأشموني
● شرح شواهد المغني ـ السُيوطي
● شرح المفصل ـ ابن يعيش الحلبي
● شذور الذهب ـ ابن هشام
● شواهد العربية ـ محمد عبد السلام هارون
● الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ دار المعارف ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م
● الاشتقاق ـ ابن دريد ـ تحقيق محمد عبد السلام هارون ١٩٥٨ م
● الاصابة فى تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ المطبعة الشرقية ١٣٢٥ هـ ـ ١٩٠٧ م
● صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ـ القلقشندي ـ طبعة مصورة عن نسخة دار الكتب

- لسان العرب ـ عبد الله محمد بن المكرم
- لباب الآداب ـ أسامة بن منقذ ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م
- مجلة العرب ـ حمد الجاسر جـ ٧ ، ٨ السنة ٩ محرم وصفر ١٣٩٥ هـ شباط فبراير/مارس ١٩٧٥ ص ٦٠٧ ـ دار اليامة للبحث والترجمة والنشر/ الرياض
- المقرب ـ ابن عصفور
- المحتسب ـ ابن جنّى
- مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب ـ ابن هشام
- مجالس ثعلب ـ محمد بن يحيى ثعلب
- المقتضب ـ أبو العباس محمد بن يزيد المبّرد ـ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة
- المصايد والمطارد ـ كشاجم ـ تحقيق محمد أسعد أطلَس ـ مطبوعات دار النهضة/ بغداد
- المعارف ـ ابن قتيبة ـ تحقيق ثروت عكاشة ـ دار الكتب ١٩٦٠ م
- عيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ مطبعة دار المعرفة
- الأعلام ـ خير الدين الزركلي ـ الطبعة الثانية
- الفتوة عند العرب ـ د. عمر الدسوقي
- فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال ـ ابو عبيد البكري ـ تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين ـ طبع دار الأمانة/ بيروت ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م
- فتوح البلدان ـ البلاذرى ـ تحقيق د. صلاح الدين المنجد
- فتح الباري بشرح البخاري (٢) طبع مصطفى البابى الحلبي ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م
- الكامل فى اللغة والأدب ـ أبو العباس محمد بن يزيد ـ تحقيق د. زكي مبارك

● الكامل ـ ابن الأثير ـ طبعة دار الكتاب العربي (ط ٢) ١٣٧٨ هـ
● الكامل ـ المبّرد ـ د . أحمد محمد شاكر ـ مطبعة البابي الحلبي ١٣٥٦هـ
● الكتاب ـ سيبويه
● النوادر فى اللغة ـ سعيد بن أوس الأنصاري ـ تحقيق سعيد الخوري الشرتوني ـ دار الكتاب العربي
● النسب الكبير ـ ابن الكلبي
● إنسان العيون ـ علي بن برهان الدين الحلبي ـ مطبعة البابي الحلبي ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٢ م
● أنساب الخيل ـ ابن الكلبي ـ تحقيق أحمد زكي باشا ـ مطبعة دار الكتب ١٩٤٦ م
● همع الهوامع ـ السّيوطي جلال الدين



فهرست



إصدارات إدارة النشر بتهامة

سلسلة : الكتاب العربي السعودي

صدر منها :

الكتاب		المؤلف
• الجبل الذي صار سهلاً		الأستاذ أحمد قنديل
• من ذكريات مسافر		الأستاذ محمد عمر توفيق
• عهد الصبا في البادية		الأستاذ عزيز ضياء
• التنمية قضية		الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا		الدكتور سليمان محمد الغنام
• الظمـأ	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله جفري
• الدوامة	(قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• غداً أنسى	(قصة طويلة)	الدكتورة أمل محمد شطا
• موضوعات اقتصادية معاصرة		الدكتور علي طلال الجهني
• أزمة الطاقة إلى أين ؟		الدكتور عبد العزيز حسين الصويغ
• نحو تربية إسلامية		الأستاذ أحمد محمد جمال
• إلى ابنتي شيرين		الأستاذ حمزة شحاتة
• رفات عقل		الأستاذ حمزة شحاتة
• شرح قصيدة البردة	(دراسة وتحقيق)	الدكتور محمود حسن زيني
• عواطف إنسانية	(شعر)	الدكتورة مريم البغدادي
• تاريخ عمارة المسجد الحرام		الشيخ حسين باسلامة
• وقفـة		الدكتور عبد الله حسين باسلامة
• خالتي كدرجان	(مجموعة قصصية)	الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار بلا زمن		الأستاذ عبد الله الحصين
• علم إدارة الأفراد		الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع
• الإبحار في ليل الشجن	(شعر)	الأستاذ محمد الفهد العيسى
• طه حسين والشيخان		الأستاذ محمد عمر توفيق
• التنمية وجهاً لوجه		الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
• الحضارة تحدٍّ		الدكتور محمود محمد سفر
• عبير الذكريات	(شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• لحظة ضعف		الأستاذ فؤاد صادق مفتي

العنوان		المؤلف
• الرجولة عماد الخلق الفاضل		الأستاذ حمزة شحاتة
• ثمرات قلم		الأستاذ محمد حسين زيدان
• بائع التبغ	(مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ حمزة بوقري
• أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة		الأستاذ محمد علي مغربي
• النجم الفريد	(ترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• مكانك تحمدي		الأستاذ أحمد محمد جمال
• قال وقلت		الأستاذ أحمد السباعي
• نبض ...		الأستاذ عبد الله جفري
• نبت الأرض		الدكتورة فاتنة أمين شاكر
• السعد وعد	(مسرحية)	الدكتور عصام خوقير
• قصص من سومرست موم	(ترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• عن هذا وذاك		الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
• الأصداف	(شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
• الأمثال الشعبية في مدن الحجاز		الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار تربوية		الدكتور إبراهيم عباس نتو
• فلسفة المجانين		الأستاذ سعد البواردي
• خدعتني بحبها	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله بوقس
• نقر العصافير	(شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
• التاريخ العربي وبدايته		الأستاذ أمين مدني
• المجاز بين اليمامة والحجاز		الأستاذ عبد الله بن خميس
• تاريخ الكعبة المعظمة وعمارتها		الشيخ حسين عبد الله باسلامة
• خواطر جريئة		الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ
• السنيورة	(قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• رسائل إلى ابن بطوطة	(شعر)	الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
• جسور إلى القمة		الأستاذ عزيز ضياء
• تأملات في دروب الحق والباطل		الشيخ عبد الله عبد الغني خياط
• الحمى	(شعر)	الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
• قضايا.. ومشكلات لغوية		الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار
• ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز		الأستاذ محمد علي مغربي
• زيد الخير		الأستاذ عبد العزيز الرفاعي
• كلمة ونصف		الأستاذ محمد حسين زيدان

تحت الطبع :

العنوان	المؤلف
• هكذا علمني وردزورث	الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

• عام ١٩٨٤ لجورج أورويل	(ترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• مشواري مع الكلمة		الأستاذ حسن عبد الحي قزاز
• وجيز النقد عند العرب		الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
• لن تلحد		الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
• الإسلام في نظر اعلام الغرب		الشيخ حسين عبد الله باسلامة
• قصص من طاغور	(ترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• أيـامي..		الأستاذ أحمد السباعي
• ماما زبيدة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عزيز ضياء
• مدارسنا والتربية		الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع
• دوائر في دفتر الزمن	(مجموعة قصصية)	الأستاذ سباعي عثمان
• من حديث الكتب		الأستاذ محمد سعيد العامودي
• الموزون والمخزون		الشيخ أبو تراب الظاهري
• ألحان مغترب	(شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• الشوق إليك	(مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين سراج
• وحي الصحراء		الأستاذ عبد الله بلخير الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود
• لجام الأقلام		الشيخ أبو تراب الظاهري
• أصداء قلم		الأستاذ محمود عارف
• قراءات في التربية وعلم النفس		الأستاذ فخري حسين عزي
• إليهـــا	(شعر)	الأستاذ حسين سراج
• حتى لا نفقد الذاكرة		الأستاذ سعد البواردي
• غرام ولادة	(مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين سراج
• أحاديث		الدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسة
• نقاد من الغرب		الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
• شيء من حصاد		الأستاذ حامد مطاوع

سلسلة :
الكتاب الجامعي

صدر منها :

الكتاب		المؤلف
الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية		الدكتور مدني عبد القادر علاقي
الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق	(باللغة الانجليزية)	الدكتور فؤاد زهران الدكتور عدنان جمجوم الدكتور محمد عيد
النمو من الطفولة إلى المراهقة		الدكتور محمد جميل منصور الدكتور فاروق سيد عبد السلام
الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا		الدكتور عبد المنعم رسلان
النفط العربي وصناعة تكريره		الدكتور أحمد رمضان شقلية
الملامح الجغرافية لدروب الحجيج		الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
علاقة الآباء بالأبناء	(دراسة فقهية)	الدكتورة سعاد إبراهيم صالح
مبادىء القانون لرجال الأعمال		الدكتور محمد إبراهيم أبو العينين
الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية		الأستاذ هاشم عبده هاشم
مشكلات الطفولة		الدكتور محمد جميل منصور
شعراء التروبادور	(ترجمة)	الدكتورة مريم البغدادي
الفكر التربوي في رعاية الموهوبين		الدكتور لطفي بركات أحمد
النظرية النسبية		الدكتور عبد الرحمن فكري الدكتور محمد عبد الهادي كامل
أمراض الأذن والأنف والحنجرة	(باللغة الانجليزية)	الدكتور أمين عبد الله سراج الدكتور سراج مصطفى زقزوق

تحت الطبع :

الكتاب		المؤلف
الأدب المقارن	(دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية)	الدكتور عبد الوهاب علي الحكمي
هندسة النظام الكوني في القرآن		الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر
المدخل في دراسة الأدب		الدكتورة مريم البغدادي
الرعاية التربوية للمكفوفين		الدكتور لطفي بركات أحمد

مطبوعات تهامة
PUBLICATIONS

صدر منها :

العنوان		المؤلف
• حارس الفندق القديم		الأستاذ صالح إبراهيم
• دراسة نقدية لفكر زكي مبارك	(باللغة الانجليزية)	الدكتور محمود الشهابي
• التخلف الإملائي		الأستاذة نوال قاضي
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية	(باللغة العربية)	إعداد إدارة النشر
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية	(باللغة الانجليزية)	
• تســالي		الدكتور حسن يوسف نصيف
• مجلة الأحكام الشرعية		الشيخ أحمد بن عبد الله القاري
	(دراسة وتحقيق)	الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان
		الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
• النفس الإنسانية في القرآن الكريم		الأستاذ إبراهيم سرسيق
• خطوط وكلمات	(رسوم كاريكاتورية)	الأستاذ علي الخرجي
• واقع التعليم في المملكة العربية السعودية	(باللغة الانجليزية)	الدكتور عبد الله محمد الزيد
• صحة العائلة في بلد عربي متطور	(باللغة الانجليزية)	الدكتور زهير أحمد السباعي
• مساء يوم في آذار	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد منصور الشقحاء
• النبش في جرح قديم	(مجموعة قصصية)	الأستاذ السيد عبد الرؤوف
• الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام		الدكتور محمد أمين ساعاتي
• الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك		الأستاذ أحمد محمد طاشكندي

تحت الطبع :

العنوان		المؤلف
• الموت والابتسامة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
• العقل لا يكفي	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي الشيخ
• أيام مبعثرة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ فؤاد عنقاوي
• رحلة الربيع		الأستاذ فؤاد شاكر
• مواسم الشمس المقبلة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي قدس
• الوحدة الموضوعية في سورة يوسف		الدكتور حسن محمد باجودة
• ماذا تعرف عن الأمراض ؟		الدكتور إسماعيل الهلباوي
• الأسر القرشية.. أعيان مكة المحمية		الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
• ملامح وأفكار مضيئة		الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
• أضواء على نظام الأسرة في الإسلام		الدكتورة سعاد إبراهيم صالح

- وللخوف عيون (مجموعة قصصية) — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- سوانح وخطرات — الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي — الدكتور جميل حرب محمود حسين
- جهاز الكلية الصناعية — الدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر
- القرآن.. ودنيا الإنسان — الأستاذ صلاح البكري
- أدباؤنا في سيرهم الذاتية — الأستاذ علي بركات

رسائل جامعية

صدر منها:

- صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الانجليزية) — الدكتور بهاء حسين عزي
- العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن — الأستاذة أميرة علي المداح
- الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت — الأستاذة موضي بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود
- الخراسانيون ودورهم السياسي — الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف — الأستاذة فوزية حسين مطر
- القصة فى أدب الجاحظ — الأستاذ عبد الله باقازي

تحت الطبع:

- نظام الحسبة في العراق.. حتى عصر المأمون — الأستاذ رشاد عباس معتوق
- افتراءات فليب حتّى، وبروكلمان على التاريخ الإسلامي — الأستاذ عبد الكريم علي باز
- الامكانات النووية للعرب وإسرائيل — الأستاذ صدقة يحي فاضل
- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية — الأستاذ نبيل عبد الحي رضوان

كتاب الناشئين

وطني الحبيب

صدر منها:

- جدة القديمة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

تحت الطبع:

- جدة الحديثة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق
- حكايات للأطفال — الأستاذ عزيز ضياء
- قصص للأطفال — الأستاذة فريدة فارسي

كتاب للأطفال

لكل حيوان قصة ـ الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

صدر منها:

- القرد..
- الضب
- الثعلب
- الكلب
- الغراب
- الأرنب
- السلحفاة
- الجمل
- الذئب
- الأسد
- البغل
- الفأر..
- الحمار الأهلي
- الفراشة
- الخروف
- الفرس
- الدجاج
- البط
- الغزال
- الحمار الوحشي
- الببغاء
- الوعل
- الجاموس
- الحمامة

كتب صدرت باللغة الانجليزية

Books Published in English By Tihama

- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.
  By F. M. Zahran, A.M.R. Jamjoom, M.D. EED
- Zaki Mubarak: A Critical Study.
  By Dr. Mahmud Al Shihabi
- Summary of Saudi Arabian Third Five year Development Plan
- Education in Saudi Arabia, A Model with Difference
  By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.
- The Health of the Family in A Changing Arabia
  By Dr. Zohair A. Sebai
- Diseases of Ear, Nose and Throat
  By Dr. Amin A. Siraj, Dr. Siraj A. Zakzouk
- Shipping and Development in Saudi Arabia
  By Dr. Baha . Bin Hussein Azzee
- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.
- Who's Who in Saudi Arabia